الفصل الأول

التحرش الجنسي

التساؤل الأول
ماذا يقصد بالتحرش الجنسي؟

يقصد بالتحرش الجنسي محاولة استثارة الأنثى جنسياً دون رغبتها. ويشمل اللمس أو الكلام أو المحادثات التليفونية أو غرف المحادثات Chating Room أو المجاملات غير البريئة. ويحدث التحرش من رجل في موقع قوة بالنسبة للأنثى مثل المدرس والتلميذة، والطبيب والمريضة، أو حتى رجل دين ومتعبدة. ولكن الحالات الأكثر والأغلب هي التي تحدث في مكان العمل.

ومن أمثلة السلوك المرتبط بالتحرش الجنسي ما يلي:

- النظرة الخبيثة أو ذات المعنى للأنثى عندما تمر من أمام شخص ما.
- التلفظ بألفاظ ذات معنى جنسي.
- تعليق صور جنسية أو تعليقات جنسية في مكان يعرف الشخص أنها سوف ترى هذه الأشياء.
- لمس الجسد.
- النكات أو القصص الجنسية التي تحمل أكثر من معنى.
- الإصرار على دعوة الأنثى مراراً إلى طعام أو شراب أو نزهات رغم الرفض المتكرر.
- الإصرار على توصيل الأنثى إلى المنزل أو إلى العمل رغم الرفض المتكرر.
- طلب أن تعمل الأنثى ساعات إضافية بعد مواعيد العمل مع عدم وجود ضرورة لذلك.

التساؤل الثاني
هل هناك وثيقة دولية لمنع التحرش الجنسي بالأطفال؟

تؤكد البحوث والإحصاءات الخاصة بالتحرش الجنسي بالأطفال في العالم ضرورة التوصل إلى ميثاق خاص بهذا الشأن، وأن تلحق به اتفاقيات تلزم دول العالم الموقعة عليه بحماية الأطفال من التحرش الجنسي، وأن يراقب تنفيذ هذه الاتفاقيات لجان مشكلة من أهل الاختصاص والخبرة في هذا المجال.

وفي هذا الصدد لا يمكن أن ننكر أن الدول العربية في حاجة ماسة قبل غيرها إلى مثل هذا الميثاق رغم المحاولات التي صادق بموجبها مجلس النواب المغربي على قانون لحماية الطفولة والأسرة من التحرش الجنسي، وكذلك مطالبة أحد أعضاء مجلس النواب البحريني عام ٢٠٠٤ بإصدار قانون لحماية الطفل من التحرش الجنسي.

وعند مراجعة المواثيق الدولية الخاصة بحقوق الطفل، نجد إنه في ٢٣ فبراير ١٩٢٣م صدر في جنيف أول إعلان لحقوق الطفل، ومنذ ذلك التاريخ والمواثيق الدولية تتوالى لحماية حقوق الطفل كما يلي:

١- ديسمبر ١٩٤٦م: تم تأسيس صندوق الأمم المتحدة لرعاية الطفولة "اليونيسيف UNICEF".

٢- نوفمبر ١٩٥٩م: صدر عن الأمم المتحدة الإعلان العالمي لحقوق الطفل.

٣- يونيو ١٩٧٣م: صدرت عن الأمم المتحدة اتفاقية الحد الأدنى للسن في العمل.

٤- ديسمبر ١٩٨٦م: صدر عن الأمم المتحدة إعلان بشأن المبادئ الاجتماعية والقانونية الخاصة بحماية ورفاهية الأطفال.

٥- سبتمبر ١٩٨٩م: صدرت عن الأمم المتحدة اتفاقية حقوق الطفل، وهي الاتفاقية التي نالت ما لم تنله أية اتفاقية أخرى لحقوق الإنسان حتى الآن، إذ حظيت بتصديق كافة الدول الأعضاء في الأمم المتحدة فيما عدا دولتين فقط.

وقد أنشئت لجنة حقوق الطفل بموجب المادة ٤٣ من الاتفاقية، وذلك لدراسة التقدم الذي تحرزه الدول الأطراف في الوفاء بالتزاماتها بموجب الاتفاقية، وتتكون لجنة حقوق الطفل من عشرة خبراء من ذوي المكانة الخلقية الرفيعة والكفاءة المعترف بها في الميدان الذي تغطيه الاتفاقية.

٦- سبتمبر ١٩٩٠م: انعقد المؤتمر العالمي للطفل في نيويورك، وقد تمت الموافقة خلاله على "اتفاقية حقوق الطفل"، والتزم قادة الدول الذين حضروا هذا المؤتمر على الاسترشاد بمبدأ "الأطفال أولاً".

٧- نوفمبر ١٩٩٠م: صدر عن الجمعية العامة لمنظمة الوحدة الأفريقية الميثاق الأفريقي لحقوق الطفل.

٨- أغسطس ١٩٩٦م: انعقد الاجتماع العالمي الأول بشأن تجارة استغلال الأطفال جنسياً في استوكهولم بالسويد، وقد نتج عن هذا المؤتمر إعلان هام يقتضى بأهمية التحرك لوضع حد للاستغلال والإساءة الجنسية التي يتعرض لها الأطفال على أن يشمل التحرك المستوى المحلي الوطني والإقليمي والدولي.

٩- يونيو ١٩٩٩م: عادت الأمم المتحدة لتصدر اتفاقية "أسوأ أشكال عمل الأطفال".

١٠- مايو ٢٠٠٠م: صدر البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال واستغلالهم في الدعارة والصور الخليعة، الذي اعتمد وعُرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٦٣ الدورة الرابعة والخمسون المؤرخ في ٢٥ مايو ٢٠٠٠م، ودخل حيز التنفيذ في ١٨ يناير ٢٠٠٢م.

١١- مايو ٢٠٠٠م: صدر البروتوكول الاختياري الملحق باتفاقية حقوق الطفل بشأن اشتراك الأطفال في المنازعات المسلحة، الذي اعتمد وعرض للتوقيع والتصديق والانضمام بموجب قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة ٢٦٣ الدورة الرابعة والخمسون المؤرخ في ٢٥ مايو ٢٠٠٠م، ودخل حيز التنفيذ في ١٢ فبراير ٢٠٠٢م.

١٢- مارس ٢٠٠١م: اتخذ مجلس جامعة الدول العربية على مستوى القمة التي عقدت في عمان مارس ٢٠٠١م قراراً بتبني "الإطار العربي لحقوق الطفل"، وبدأت حينها استعدادات لعقد مؤتمر حول الطفولة كان من المقرر انعقاده في سبتمبر ٢٠٠١م لكنه تأجل لأجل غير مسمى.

١٣- سبتمبر ٢٠٠١م: صدر تحت عنوان: "عالم جدير بالأطفال" مشروع نص الوثيقة الصادر عن الجلسة الأولى للجنة التحضيرية للجلسة الخاصة للجمعية العمومية للأمم المتحدة لمتابعة قمة الطفل، وقد ورد في المادة ٤٩ منه: "ولابد من وضع نهاية للاعتداء الجنسي على الأطفال ولاستغلالهم، ولابد من القيام على وجه السرعة، وعلى أوفى نحو ممكن، بتنفيذ خطة العمل التي اعتمدها المؤتمر العالمي لمكافحة الاستغلال الجنسي

التجاري للأطفال، والبروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل المتعلق ببيع الأطفال، وبغاء الأطفال، والمواد الإباحية عن الأطفال".

١٤- ديسمبر ٢٠٠١م: حطت الرحلة أخيراً عند انعقاد الاجتماع العالمي الثاني بشأن تجارة استغلال الأطفال جنسياً في يوكوهاما باليابان، وهو ما عرف بـ"تعهد يوكوهاما العالمي ٢٠٠١".

١٥- أغسطس ٢٠٠٣م: صدر ميثاق حقوق الطفل في الإسلام عن اللجة الإسلامية العالمية للمرأة والطفل، وهي إحدى لجان المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة، وقد ورد في المادة ٢٨ فيه والتي كانت بعنوان "الحماية من المساس بالشرف والسمعة": للطفل الحق في الحماية من جميع أشكال الاستغلال، أو الانتهاك الجنسي، أو أي مساس غير قانوني بشرفه أو سمعته.

ورغم أن هذه المواثيق قد نصت على مراعاة حق الطفل في عدم التحرش به؛ ألا أننا نجد ما يلي:

١- أن ٢٩ دولة فقط اعتمدت خطة عمل تشمل حملات توعية وتشديد القوانين ذات الصلة بظاهرة استغلال الأطفال جنسياً.
٢- أنه لا يوجد ميثاق واحد يتحدث عن حق الطفل في عدم التحرش الجنسي به من حيث هو طفل وكائن له حقه في الحماية، بعيداً عن قصد المتاجرة به جنسياً كما في بروتوكول حقوق الطفل بشأن بيع الأطفال واستغلالهم في الدعارة والصور الخليعة، أو كما حدث في مؤتمري استوكهولم ويوكوهاما بشأن الاستغلال الجنسي للأطفال بقصد التجارة.

وفي ضوء ما سبق، يثير تساؤلاً هل التحرش الجنسي بالأطفال مسألة لا تستحق أن تهتم بها الدول، وأن تختص بميثاق خاص بها قياساً على مواثيق الحقوق الخاصة بالإنسان كحق الأسير وحق السجين، أو على مواثيق الحقوق الخاصة بالأطفال كعمل الأطفال واشتراكهم في الحروب مثلاً؟.

إضافة إلى هذا، فإن التحرش الجنسي بالأطفال موجود في كل المجتمعات منها العربية والإسلامية بدرجة تثير القلق؛ والظاهرة تتنامى؛ وهذا يعزى إلى الصمت الواقع على هذا النوع من الجرائم انطلاقاً من الثقافة العربية والإسلامية التي ترى أن البوح بهذه الجريمة سيجلب العار للعائلة؛ أي أن هناك تابو Tabbo للحديث عن هذا.

ولكن الآن هناك كسر للصمت ويرجع هذا إلى المنظمات الأهلية التي تعمل في المجتمع المدني التي تتلقى الشكاوى في هذا المجال؛ وتعطي الاستشارات القانونية لهؤلاء الضحايا من أجل تقديم الشكاية ضد المعتدى. ألا أن قوانين التحرش الجنسي في البلاد العربية تحتاج إلى مزيد من التطوير، وذلك لكي تناسب مدى انتشار هذه الظاهرة واستفحالها في مجتمعاتنا العربية والإسلامية؛ خاصة إنه ليس هناك تشريع واضح ودقيق يجرم التحرش الجنسي، بل نجد بعض التشريعات التي تدخل في مجال انتهاك الآداب، كارتكاب الإخلال العلني بالحياء أو هتك العرض أو الاغتصاب، أما التحرش الجنسي فلا وجود له كنص تشريعي.

التساؤل الثالث
هل أصبح التحرش الجنسي ظاهرة؟

أن التحرش الجنسي أصبح ظاهرة ينبغي إلقاء الضوء عليها لخطورتها وما تتركه من آثار سلبية على المعتدى عليه، إلى جانب أنها ظاهرة عالمية وعربية ومحلية.

فمثلاً، لم يكن التحرش الجنسي في مصر وليد الصدفة، إنما هن نتاج سياسات عامة احتضنت توجهات إعلامية وثقافية واجتماعية تتنافى مع قواعد عقيدة الشعب المصري المسلم، تلك السياسات صاحبتها برامج تليفزيونية وإذاعية ومواد صحفية تروج لثقافة فاسدة ألقت بظلالها على تفكير شريحة واسعة من الفقراء والمطحونين تحت وطأة البطالة وتدني المستوى الاقتصادي وافتقادهم للقدوة التي باتوا يرونها في الفيديو كليب والأفلام السينمائية الهابطة مع انتشار الفضائيات وفي ظل ثورة المعلومات الراهنة.

وعلى الرغم من أنه لا توجد إحصاءات رسمية حول التحرش الجنسي في مصر إلا أن المركز المصري لحقوق المرأة يصف هذه الظاهرة بأنها "سرطان مجتمعي"، ويتم بصورة يومية في الأماكن العامة، وليس مقصوراً على فئة عمرية أو طبقة اجتماعية بعينها.

ويؤكد المركز في دراسة له أنه توجد جريمتي اغتصاب تقعان كل ساعة، وأن كل النساء المصريات معرضات للتحرش، سواء كن محجبات أم لا وأن ٤٠% من المصريات يتعرضن للتحرش الجنسي من خلال "اللمس".

وأشارت الدراسة – التي جرت على عينة من ١٠٨٢ استمارة – إلى أن التحرش لا يقتصر فقط على عمر أو طبقة اجتماعية معينة، ولكنه يعوق تقدم المرأة ديموغرافياً، مؤكدة أن أبرز الأشكال الشائعة للتحرش هو اللمس

بنسبة ٤٠% لسهولة حدوثه سواء في الشارع أو في المواصلات العامة، يليه التحرش بالألفاظ البذيئة بنسبة ٣٠% وأوضحت النتائج أن ٣٠% من المعتدى عليهن يتعرضن للتحرش الجنسي يومياً و٢% فقط منهن يلجأن إلى الشرطة عند تعرضهن للتحرش، مؤكدة أن النساء لا يثقن في أن النظام القانوني الراهن يوفر لهن الحماية من المتحرشين بهن.

كارثة اجتماعية:

أن السلطات الأمنية المصرية في إطار تركيزها على الأمن السياسي أهملت الأمن الجنائي، بل واستثمرته لا في أعمال الاستعانة بالبلطجية في تزوير الانتخابات فقط بل استعانت بهم أيضاً في عمليات تحرش جنسي وانتهاك للأعراض طالت ناشطات في مجالات حقوق الإنسان وصحفيات، ولعل أبرز مثال صارخ على هذا هو ما حدث يوم الخامس والعشرون من شهر مايو من عام ألفين وخمسة شهدت نقابة الصحفيين بالقاهرة أشهر واقعة تحرش جنسي قام بها رجال أمن ينتمون لوزارة الداخلية المصرية ضد صحفيات مصريات أثناء قيامهن بتظاهرة أمام نقابة الصحفيين للدعوة إلى مقاطعة الاستفتاء على تعديل الدستور، وهي التظاهرة التي تعرضت خلالها إحدى الصحفيات أثناء صعودها سلم النقابة لاعتداء وحشي عليها حيث فوجئت بشخصين من رجال الأمن يدفعانها من السلم، بينما قام آخرون بتمزيق ملابسها وملامسة أماكن حساسة في جسدها.

وحمّلت خمس منظمات حقوقية مصرية وزير الداخلية المسئولية الشخصية عن وقائع الاعتداء الجنسي الذي تعرضت له الناشطات والصحفيات، وقالت المنظمات الخمس، وهي الجمعية المصرية لمناهضة التعذيب، ومركز النديم لتأهيل ضحايا العنف، ومركز هشام مبارك للقانون،

والمبادرة المصرية للحقوق الشخصية، والشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، إن الشهادات التي قامت بتوثيقها مباشرة من هؤلاء النساء ومن شهود العيان على الأحداث قد كشفت عن تكرار نفس النمط من استهداف النساء والفتيات بتمزيق ثيابهن والتحرش بهن والعبث بأجسادهن، في المظاهرات التي وقعت أمام ضريح سعد زغلول بوسط القاهرة وأمام نقابة الصحفيين وأمام نقابة المحامين، مما يثبت أن ما اقترفه أفراد الأمن وأعضاء في الحزب الوطني لم يكن أحداثاً متفرقة أو مبادرات إجرامية فردية، وإنما كانت تنفيذاً لتعليمات محددة استهدفت إذلال النساء بهذه الوسائل الحقيرة، وكسر نفوس زملائهم الذين منعهم الضرب المبرح من نجدة زميلاتهم. إلى جانب هذا، أعقبت واقعة التحرش بالصحفيات كارثة اجتماعية أخرى شهدتها شوارع وسط القاهرة خلال أيام عيد الفطر عام ٢٠٠٦ حيث قامت مجموعات كبيرة من الشباب يقدرون بالمئات من مختلف الأعمار بالتحرش بالفتيات جنسياً في شوارع وسط القاهرة وخاصة أمام دور السينما مستغلين حالة الزحام الشديد أمام السينمات خلال أيام العيد، وأكدت منظمات حقوقية أن حالات عديدة لفتيات تم انتهاكهن والتحرش بهن خلال هذه الأيام بعد أن قام الشباب المسعور بتشكيل دائرة حولهن وتكون الفريسة في داخل الدائرة ولا يرى أحد ما يحدث بشكل جيد، وبذلك يتمكنوا من تمزيق ملابسهن ولا يتركوهن إلا بعد تدخل عمال الأمن أو أصحاب المحلات التجارية أو سائق تاكس أو حارس عمارة أو مجموعة من المارة ممن استفزتهم هذه المشاهد المفزعة ويقوموا بإنقاذ إحدى الفتيات.

وقد حدثت كل هذه الوقائع واستمرت طوال أيام العيد في ظل غياب لأي تواجد أمني يحاول التصدي لحالة السعار الجنسي الحاد الذي أصاب مئات من الشباب.

ردود الأفعال:

تباينت ردود الأفعال عند السيدات الآتي تعرضن للتحرش الجنسي وهذا ما كشفه المركز المصري لحقوق المرأة حيث أوضح في دراسة بحثية أن شكل رد الفعل الشفوي تجاه التحرش والمتمثل في النظر أو القول حصل على ٦,١٣% من نسبة المشاركات، بينما بلغت نسبة من آثرن السلامة ولم يتخذن أي رد فعل تجاه مضايقتهن، نحو ٦,٢٩% وكانت نسبة من طلبن المساعدة من السلطات ٢% فقط، مشيراً إلى وجود عدة عوامل تقف خلف اتساع ظاهرة التحرش الجنسي، فإلى جانب البطالة هناك تأخر سن الزواج وصعوبته بسبب ارتفاع تكاليفه موضحاً أن ٩٠% من مرتكبي هذه الجرائم من العاطلين عن العمل. وكشفت الدراسة عن أن نسبة المتحرشين تتفاوت حسب السن حيث تبلغ النسبة لمن في سن ١٨ حوالي ٢٢%، ومن ١٨ إلى ٢٤ حوالي ٢٩%، ومن ٢٥ إلى ٤٠ حوالي ٣٠% بينما تنخفض النسبة لمن فوق ٤١ سنة إلى ١٤%. وتعد طالبات المدارس الأكثر عرضة للتحرش رغم ارتدائهن الزي المدرسي، حيث أكدت ٣٠ طالبة شاركن في الدراسة أنه تم التحرش بهن في أماكن مختلفة سواء في الشارع أو المواصلات العامة، أما النساء اللاتي لا يعملن فيأتين في المرتبة الثانية حيث تصل نسبة التحرش بهن إلى ٢٧%، وتنخفض النسبة لمن يعملن في الوظائف الإدارية إلى ٢٠% و٤٠% لمن يعملن في العمل العمالي، و٢% لمن يعملن في العمل الخدمي. وتعاني ربات البيوت من المشكلة نفسها، حيث وصلت نسبة التحرش بهن إلى ١٢%، وفيما يتعلق برد فعل المتحرش بها، نجد "السب" هو النسبة الأكبر، حيث تكتفي ٥٥% من النساء بسب المتحرش ولعنه وإكمال اليوم بشكل عادي، وذلك في حالة اقتصار التحرش على بعض الألفاظ كما أوضحت الدراسة أن ٣٢% يطلبن مساعدة الغرباء، و١١% يطلبن مساعدة أفراد العائلة أو الأصدقاء، بينما تلجأ ١٣% إلى الشرطة وتبلغ عن الحادثة.

اغتيال البراءة!

لم يسلم الأطفال من التحرش الجنسي بهم خاصة صغار السن وذلك في اعتقاد مرتكبي هذه الجريمة أن هؤلاء الأطفال لن يستطيعوا التعبير عما يحدث لهم بسبب شدة الخوف من جراء تهديدهم وتحذيرهم من قبل المرتكبين بعدم كشف هذه الأفعال، والمستهدفون من الأطفال: هم ما بين سنة ونصف إلى الخمس سنوات في وقت تغيب فيه رقابة الأهل والأقرباء المحيطين بهم، والغريب كما يقوله علماء النفس أن هذا العنف غالباً ما يحدث على يد أقرب الناس إلى الأطفال أو ممن يقدمون لهم الرعاية (السائق – الخادم) أما الأطفال الـ (٥ – ١٢) عاماً فما فوق غالباً ما يتعرضون للعنف الجنسي ممن يختلطون بهم من (أصدقاء – أبناء الجيران – الغرباء)، وأيضاً الأطفال الذين يودعون مؤسسات الأحداث الإصلاحية، والمشردون في الشوارع يتعرضون لأبشع أنواع التحرش والاعتداء باعتبارهم هدفاً سهلاً بسبب فقرهم وصغر سنهم وجهلهم بحقوقهم.

ويمثل الاعتداء الجنسي على الأطفال ١٨% من إجمالي الحوادث المتعلقة بالطفل، وهذا ما أكدته دراسة عن حوادث التحرش بالأطفال في مصر، وفيما يتعلق بصلة مرتكب الحادث بالطفل الضحية أشارت الدراسة إلى أن النسبة هي ٣٥% من الحوادث يكون الجاني له صلة قرابة بالطفل الضحية، وفي ٦٥% من الحالات لا توجد بينهم صلة قرابة.

ومن ثم، ينبغي التصدي لحالات التحرش الجنسي؛ وهذا يتطلب تغيير شامل في منظومات السياسات الراهنة يراعي القيم والتقاليد وعقيدة الأمة، ويعتمد على الإعلام كدين وحضارة، ويرفض الأفكار المستوردة عبر ثقافة أفلام هوليوود والفضائيات الأوروبية.

التساؤل الرابع
ما أسباب التحرش الجنسي؟

الأسباب الحقيقية التي تدفع الإنسان إلى ارتكاب جرائم التحرش الجنسي متعددة منها **النفسية**؛ حيث تبين أن من بين مرتكبي هذه الجرائم مصابين ببعض الأمراض النفسية، ولا يتلقون العلاج ولا يعترفون بأنهم في حاجة إلى علاج، ومنها **الاجتماعية**؛ حيث ترتبط بإعادة بعض العلاقات التي تكون سابقة، مثل ابن الطلاق الذي يمكن أن يمارس عليه تحرش من طرف غرباء أو من طرف زوج الأم؛ وعندما يكبرون فإنهم يعيدون إنتاج هذه الممارسات على أطفال آخرين، ومنها **التربوية**؛ حيث لا توجد ثقافة حقوق الإنسان في المناهج التربوية مثل احترام الكرامة الإنسانية كمسألة أساسية ومركزية في حياة الإنسان، كذلك الاعتداء على جسد الآخر.

وإلى جانب هذا، توجد أسباب أخرى مثل تبرج وسفور النساء وعزوف الشباب عن الزواج، وضعف الوازع الديني لدى الكثيرين مما ينتج عنه سوء التربية.

التساؤل الخامس
هل أصبحت مجتمعاتنا بيئة خصبة للتحرش الجنسي؟

فجّرت حادثة التحرش الجنسي الجماعي التي شهدتها شوارع وسط القاهرة في شهر أكتوبر عام ٢٠٠٧م، وقبلها حادثة نفق النهضة في المملكة العربية السعودية مشاعر الصدمة والذهول، وأثارت العديد من التساؤلات حول المسئول عن هذا السعار الجنسي الذي طفا بشكل مفاجئ وصادم على سطح مجتمعاتنا التي يفترض فيها أنها محافظة بطبعها.

البعض ألقى مسئولية ما حدث على وسائل الإعلام والبعض الآخر على الظروف الاقتصادية والبطالة وغياب الدور التربوي للأسرة وغياب خطاب ديني يخاطب الشباب ويؤثر فيهم؛ غير أن الجميع اتفقوا على أن كل ما سبق يمثل بيئة خصبة لنمو تلك الحوادث المخزية.

أن التحرش الجنسي في الشارع والمواصلات وأماكن العمل تحول إلى ظاهرة تتزايد يوماً بعد يوم، حيث تبين زيادة في حجم تلك الحوادث بنسبة تصل إلى ٤٠% خلال العام المنقضي عن السنوات الخمس السابقة عليه. حيث زادت حالات التحرش ولم يعد مقتصراً على الألفاظ الخارجة والجارحة، بل بدأ يأخذ أشكالاً متعددة تشترك كلها في سمة أساسية هي الإيذاء البدني والتسبب في الشعور بالانتهاك وعدم الأمان وللأسف أصبح التحرش يطال البنات المحجبات بنسبة تصل إلى ٦٠% ممن تم التحرش بهن.

وقد تلقى المركز المصري لحقوق المرأة كمية ضخمة من الشكاوى من نساء يواجهن مشكلات يومية، متعددة من التهديد والانتهاك العلني أو الأفعال العنيفة الأخرى في كل مرة يغادرن فيها منازلهن، تتضمن إما ألفاظاً أو إشارات بذيئة أو اللمس غير اللائق للجسد، أو المغازلة والملاحقة في

الشارع، وكشف المتحرش عن أجزاء من جسده أمامهن وامتد التحرش إلى التحرش من خلال التليفون والإيميل.

وقد تجاهل المسئولين والأمن لقضايا التحرش زاعمين أنها قضية غير ذات أولوية؛ وهو ما دفع المركز المصري لحقوق المرأة لإطلاق حملة قومية لمحاربة التحرش الجنسي تستهدف الإعلام، والرأي العام ووزارتي الداخلية والتربية والتعليم.

ويقوم المركز بجمع الشكاوى والقصص المتعلقة بالتحرش من أكبر عدد ممكن من النساء لضمها في تقرير سيستخدمه للضغط على الحكومة والإعلام بهدف طرح هذه المشكلة علناً للتوعية بالمخاطر الأمنية والسياحية للتحرش لتعود شوارعنا آمنة مرة أخرى. كما يعمل المركز على تقديم الاستشارات القانونية لضحايا التحرش ورفع الدعاوي القضائية مجاناً.

كما أن قانون العقوبات في مصر وعدد كبير من البلدان العربية يعتبر التحرش نوعاً من السب والقذف وخدش الحياء، أما إذا كان باليد فيعد هتكاً للعرض وفعلاً فاضحاً في الطريق العام؛ والعقوبات تتراوح بين الحبس شهر مع الغرامة وتصل إلى الحبس ٣ سنوات أو الغرامة.

كما أنه على المستوى الشعبي هناك تصور خاطئ بأن هتك العرض يعني الاغتصاب، مع أنه مجرد لمس أجزاء حساسة من جسد المرأة وتصل عقوبته إلى ٧ سنوات سجناً.

وعلى ذلك فشريحة كبيرة من الضحايا لا يعرفون حقوقهم وأن ما يتعرضون له من تحرش هو جرائم يعاقب عليها القانون، خاصة أنها تسبب لهن أضراراً نفسية وعصبية قد تمتد آثارها لفترات طويلة من حياتهن.

لذا لابد من التحقيق الفوري في هذه الوقائع ومساءلة المسئولين عن بسط الأمن في المناطق التي يحدث فيها التحرش وعدم التعامل مع الموقف كواقعة عرضية، مع ضرورة دراسة مسببات ودوافع مثل هذا الهوس الجماعي، ولحظة انفجاره. كما ينبغي البحث عن كيفية تفادي مثل هذه الوقائع الغريبة والتصدي للتحرش، مع أهمية سد الفجوة التشريعية في قانون العقوبات واستحداث قوانين خاصة بالتحرش الجنسي لحماية النساء والفتيات في الشارع وفي كافة الأماكن.

إن التحرش الجنسي بات يمثل هستيريا جماعية، خرجت من حالة الفردية إلى الحالة الجماعية. ونرى، أن المجتمع والإعلام يلقى باللوم دائماً على المجني عليها، فنجد من يقول لماذا خرجت إلى الشارع في هذا الوقت، ولماذا تلبس هذه الملابس؛ وجميع تلك الأقاويل تصب في خانة إعطاء المبررات للجاني على الرغم من أن الكثير من أفعال التحرش تتم في وضح النهار وأن عدداً من الضحايا يكن من المحجبات، ولم يقل أحد أن ما أقدم عليه الجاني هو جريمة تستحق أن يتم إنزال العقاب اللازم عليها.

ولا يمكن بأي حال إلقاء مسئولية تزايد التحرش الجنسي على البطالة والعنوسة والأزمة الاقتصادية والإعلام، لأن التحرش قضية عنف وليست قضية جنسية وأنه جريمة مثلها مثل السرقة والقتل؛ لأنه لا يتصور أن يحاول شخص ما أن يمارس العلاقة الجنسية مع فتاة بالإكراه وفي وضح النهار، وأمام الناس.

أن هذه الجريمة تنفيس عن رغبات عنيفة تجاه الطرف الأضعف داخل المجتمع، والسبب يعزي إلى غياب الشعور بالأمن الذي يعد عاملاً مساعداً يشجع المتحرشين على ارتكاب جرائمهم وهم في مأمن من الملاحقة والعقاب.

إضافة إلى هذا، تقع على وسائل الإعلام المسئولية في قضية التحرش التي لم تظهر فجأة بل هي قضية تراكمية لها جذور عميقة بدأت منذ بداية الانفتاح الاقتصادي وما صاحبه من انحلال أخلاقي وانهيار للقيم، وأن هذه النتيجة كانت متوقعة حين أخذ السوس ينخر في البنية الأخلاقية للمجتمع التي تمثل حائط الصد أمام القيم الإباحية الوافدة والسلوكيات الشاذة؛ فبدا أن الإعلام الفاسد والفن الهابط مرضي عنه ولا يجد من يوقفه أو يتصدى له.

أن الإعلام المدعوم بقوى دولية ومحلية هو المسئول الأول وعليه أن يكف شروره عنا؛ وينبغي إلا نلقى باللوم على الخطاب الإسلامي؛ لأن الدعاة يقومون بدورهم ولكن الإعلام الهابط يجعل هذا الخطاب بلا مردود إيجابي بسبب قوة ما يملكه من وسائل التأثير ومطاردته للناس طوال ساعات اليوم.

كما إن الإعلام متهم بأنه يركز على عرض المرأة كجسد من خلال الفيديو كليبات والأفلام، ولكن الحقيقة أن التحرش هو محصلة عدة أسباب يأتي في مقدمتها الردة الأخلاقية والثقافية والبطالة وعدم القدرة على الزواج والعنوسة، بحيث أصبح المجتمع بظروفه الحالية يشكل بيئة مواتية لمثل تلك السلوكيات الشاذة.

وإلى جانب هذا، هناك عامل آخر يسهم في توفير بيئة التحرش وتسلب الشباب القيم التي تعصمهم من الانحراف والزلل وهو محاولات الأمم المتحدة عولمة القضايا الجنسية، حيث غلفت كل ما يخص هذه القضايا بإطار من الحرية والتمكين وأصبح من متطلبات العولمة فرض تلك الأجندة التي هي في الأصل منظومة الغرب الإباحية من خلال مواثيق الأمم المتحدة الخاصة بالمرأة والطفل.

أن المنظمة الدولية تقوم بإلزام الدول الأعضاء بتنفيذ بنود تلك المواثيق

وتطبيقها على مستوى كافة مؤسسات هذه الدول دون اعتبار للدين ولا للقيم المجتمعية، والتي تمثل من وجهة نظرهم العائق الأساس للتطبيق، أن هذه المواثيق تركز على المطالبة بتغيير المناهج الدراسية للأطفال والمراهقين لتلبية هذه المتطلبات والتي من بينها توفير وسائل الجنس الآمن وموانع الحمل والتثقيف الجنسي في المدارس والحق في الإجهاض للمراهقات اللاتي يحملن خارج نطاق الزواج والمساواة التامة بين الرجل والمرأة والحق في التطليق والإقامة خارج بيت الزوجية؛ وغيرها من المطالب المهددة لمؤسسة الأسرة إلى جانب تبني نموذج الأسرة غير النمطية التي لا تتكون من الزوج والزوجة.

أن بعض وسائل الإعلام العربية الموالية للمنظمات الغربية تقوم بدور أساس في إيجاد حالة من الإلحاح والضجيج لشد الجمهور نحو الأساليب الغربية للمعالجات الجنسية، سواء من النواحي الثقافية أو التعليمية أو القانونية أو السياسية لكي يتبعها المناقشات والحوارات الثنائية والجماعية لإيجاد رأي عام داعم لتلك المنظومة الإباحية.

أن هذا النمط من الإعلام يقوم بدور آخر يتمثل في إنتاج مواد إعلامية مختلفة ومتعددة على مستوى جميع الوسائل الإعلامية وباستخدام كافة الفنون الإخراجية والتكنولوجية للاتصال تصب في هذا الاتجاه المدمر للقيم.

ومن أمثلة هذا ما تم عرضه في الإعلام العربي "المتعولم" من أشكال جديدة من الأسرة لم يمارسها المجتمع العربي بكافة طوائفه الدينية في برامج مثل "Big Brother" أو الرئيس الذي يسمح للفتيات والفتيان المشاركين بالعيش معاً في منزل واحد على مشهد ومسمع الناس في أنحاء العالم دون خجل، حيث يمارسون حياتهم الطبيعية من وجهة النظر الإعلامية!!.

وعندما رفض المجتمع العربي التجربة لم ييئس الإعلام فذهب لوضع نموذج آخر للعلاقات بين الجنسين، والمتمثل في أكاديمية للفنون يعيش فيها الشباب والشابات. هذه المرة نجح الإعلام في صنع بعض النجوم مع استنفاد وقت ومال الجمهور واقتنع العديد من الشباب بالفكرة وساندوها نفسياً ومادياً فأنفقوا في سبيلها الملايين من خلال رسائل المحمول.

أن الفضائيات في إطار عولمة القضايا الجنسية والإباحية قامت بعرض نموذج آخر للأسرة حيث يعيش عدد من المشاهير من المغنيات والمغنيين في واد من الوديان ليرى المشاهد حياة كاملة بين ذكور وإناث لا تربطهم صلة غير الفن وصانعيه، وعلى مدار أشهر محددة يفوز بعدها أحدهم بالجائزة الكبرى التي تم تحصيلها من الشباب المشاهدين العرب والمسلمين في صورة رسائل هاتفية للتصويت على الفائز.

ولم يعد المذيع في حرج عندما يسال الضيف على الهواء عن أماكن الاستثارة الجنسية لدى المرأة!.

ولم تكن كذلك إحدى كاتبات المقال الشابات في حرج عندما شرحت طرق الإشباع الجنسي في العلاقات المثلية ونشرها في مجلة مطبوعة طباعة فاخرة توزع مجاناً! وتجد من يدعمها ومن يقرؤها من الشباب، وكذلك ظهرت أغنية في فيلم سينمائي تتغنى بزواج المحارم، ورغبات النساء المكبوتة وأن النساء "ملهمش غير بعضهن"! دون خوف من المواجهة أو المساءلة أو الاعتراض.

ومن ثم، هناك ضرورة لتطوير الخطاب الديني والوعظي الموجه للشباب؛ لأن هذا الخطاب يواجه منافسة شديدة من جانب الفضائيات

والانترنت الذي نجح في الاستيلاء على اهتمامات الشباب وصرفهم عن دروس المساجد. فحقل الدعوة يحتاج لنوع من الدعاة على غرار المرحوم الشيخ متولي الشعراوي والداعية عمرو خالد يستطيعون مخاطبة هذه الفئة العمرية بلغتهم ويقتحمون عالمهم للتأثير فيهم.

أن الخطاب الوعظي الحالي يعاني من الجمود والاعتماد على الترهيب أكثر من الترغيب مما ينفر الشباب، كما أنه بعيد عن اهتماماتهم ومشاكلهم وقضاياهم والتي في مقدمتها البطالة والعنوسة وتردي الأحوال الاقتصادية التي تحول بينهم وبين الزواج، بالإضافة إلى هيمنة ثقافة الفيديو كليبات والشات وغيرهما من الوسائل التي تسهم في تراجع الأخلاق والقيم لدى شبابنا وتجعلهم يقدمون على السلوكيات البعيدة عن قيم وأخلاقيات الإسلام.

لذا لابد من البحث عن الوسائل الفعالة للوصول إلى الشباب وتعميق القيم الإسلامية في نفوسهم إلى جانب الاهتمام بالمقررات الدراسية الإسلامية وتدريسها في كل مراحل التعليم، على أن يتم تضمين تلك المقررات سير الرسول الكريم (ﷺ) وصحابته والتاريخ الإسلامي المشرق والتوعية بالمخاطر التي تجلبها العولمة خاصة في جانبها الثقافي الذي يستهدف فرض "منظومة الغرب الإباحية" على المسلمين من خلال الفضائيات والانترنت وغيرها من وسائل الاتصال.

وفي ذات السياق، تبين أن غياب دور الأسرة في تربية الأبناء وغرس القيم الخلقية والدينية التي تعصمهم من الزلل وارتكاب المعاصي، أدى إلى حالة من الانفلات الأخلاقي التي تبدو مظاهرها في ميوعة البنات ورقصهن وتصرفاتهن السيئة أمام الآباء والأمهات بل وفي الشارع؛ وهو ما يشكل عاملاً مساعداً للشباب على التجرؤ عليهن.

وعليه، إذا تلاقى الشكل المثير الذي تبدو عليه الفتاة مع الميول العدوانية لدى هؤلاء الشباب نتيجة تعاطي المواد المخدرة وما شابها والتي تزيد من نسبة الأدرينالين في الدم وهو المحفز للعدوانية يحدث التحرش الجنسي، إلى جانب عنصر محفز آخر للظاهرة يتجسد في عدم انضباط الشارع نتيجة الغياب الأمني وغياب القدوة الحسنة، فلا يجد الشباب أمامه إلا تقليد الفنانين ومن يوصفون بأنهم نجوم المجتمع.

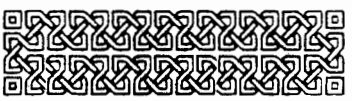

التساؤل السادس
من هم ضحايا التحرش الجنسي؟

أكثر الفئات المستهدفة للتحرش الجنسي هم الأطفال والنساء؛ وربما يعزي هذا إلى ضعف البنية البدنية لكل منهما.

أولاً: التحرش الجنسي بالأطفال:

أن نسبة عالية من الأطفال في المجتمعات العربية تتعرض للتحرش الجنسي؛ فقد تبين من خلال دراسة أجريت على عينة من الأطفال في بلد عربي أن هناك ٢٢,٧% تعرضوا للتحرش الجنسي، وأن ٦٢,١% رفضوا الإفصاح عن الأشخاص الذين أساءوا إليهم؛ وربما يعزي هذا إلى حساسية العلاقة التي تربطهم ، ألا أن ١٦,٦% قالوا أن الأقرباء هم الذين أساءوا لهم جنسياً؛ بينما قرر ٤,٨% أن أخوة من فعل بهم ذلك؛ و١٢,٣% أصدقاء؛ و ٢,١% معلمين؛ بينما تنخفض النسبة إلى ١% لكل من الآباء والأمهات.

دون شك أن التحرش الجنسي بالأطفال تجعلنا نرتعد خوفاً عليهم وتحرك مكامن خوفنا على الصحة النفسية لأجيال المستقبل والذين ستقوم على عواتقهم الفتية مهمة بناء الأوطان ونهضتها وتطورها، ويجب أن تدفعنا إلى محاولة البحث عن الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة حتى نقضي عليها ونجتثها من جذورها فالاستثمار الحقيقي يكون في الإنسان، وإن كانت بداية العلاج تتجلى في الاعتراف بالمرض وإثارة الأسئلة النائمة ومحاولة تحريك المياه الراكدة. ولكن ما أن يحاول أحدنا تسليط الضوء على آفة اجتماعية معينة أو أن يرسم ملامح ظاهرة مرضية محددة تضرب بجذورها في بنيتنا الاجتماعية، إلا وتستنفر كل آليات الدفاع في وعينا الجمعي فنشحذ أسلحتنا ونشمر عن سواعدنا باحثين عن وسائل هجومية ودفاعية حتى ندرأ عن

أنفسنا تهمة هذا المرض أو ذاك. وتحتقن دماؤنا بالحمية العربية الرافضة لأية محاولة للنقد، لأنه يضعنا وجهاً لوجه أمام الحقائق التي نسعى دائماً للهرب منها ووضع رؤوسنا في الرمال حتى نتجاهلها ونتعامى عنها فندعي البراءة منها ومن آثارها وتبعاتها على مجتمعاتنا، وكأن إنكارها وادعاء عدم وجودها سيمحوها ويلغي آثارها السيئة من قاموس حياتنا؟! أو كأن التهرب من الاعتراف بالمرض هو الوسيلة الناجعة للشفاء منه والتحرر من سرطانه المستشري في جسد البنية الاجتماعية؟!

أن محاولة تسليط الضوء على هذه الظاهرة الخطيرة، سيدفع بالدم العربي الغاضب إلى عروق وعينا الجمعي وسيرتفع معدل الرفض والاستنكار، وسينبري البعض محاولاً إنكاره تماماً بينما سيلجأ آخرون إلى حيلة دفاعية أخرى تتمحور في القول أن المرض موجود عند الآخر وأنه ليس مقتصراً على مجتمعاتنا، وكأن وجود الآفة عند الآخر حجة دامغة لنا بالبراءة! أو كأننا نقول أنه ما دام موجوداً عند الآخر فلا ضير من أن نتعامى عنه ونصم أذاننا عن نتائجه السلبية، فكلنا في البلية سواء! وما ذلك إلا محاولة للتنصل من مسؤولياتنا والتهرب من الواجبات التي سيلقيها على عواتقنا الاعتراف بذلك المرض، ويعد هذا إلا امتداداً لذلك الإحساس المرضي بالتآمر الذي يسقط العقل العربي في فخاخه حين يواجه بالحقائق اللاذعة المرارة.

وقد ثبت علمياً أن من أكثر الإشكاليات صعوبة هو التعامل مع آثار ما بعد التحرش الجنسي وأنها تترك بصماتها البشعة على نفس الضحية وقد لا تستطيع أبداً التخلص من آثارها الأخطبوطية الملتفة بإحكام عليها؛ من شعور بالدونية وإحساس قاتل بالذنب لأنه – الضحية – يعتقد أنه شريك للجاني في جريمته بشكل أو بآخر. ولذلك يتحتم علينا أن نحاول أن نقضي على المشكلة

من دابرها وذلك بتوفير سبل الوقاية منها، ويأتي على رأسها كشف المستور والحديث عن المسكوت عنه بتوعية الأطفال والانفتاح على التحدث معهم عن هذه الأمور الحساسة والخطيرة، وتثقيفهم وتغذية شعورهم بالكرامة الإنسانية وتوعيتهم بطرق الدفاع عن أنفسهم والوقوف بصلابة وحزم في وجه من يحاول أن يتحرش بهم جنسياً. وبدلاً من محاولة قلب الطاولات وتوجيه أصابع الاتهام إلى الغرب الموبوء بالأمراض الاجتماعية يجب أن نستفيد من تجاربه في علاج هذه المشكلات، فقد واجهت المجتمعات الغربية هذه الظاهرة بسلاح ماض وفعال وهو الصراحة والتثقيف والتوعية عبر وسائل الإعلام ومن على منابر المدارس نفسها.

وعليه، ينبغي التعريف بالحقوق، حيث تعد بمثابة بداية وضع الإنسان على الطريق الصحيح لنيل تلك الحقوق المغتصبة منه، ثم التوعية والتثقيف والصراحة التامة في التحدث عن المسكوت عنه، وإلا فالعاقبة وخيمة والنتيجة مجتمعات متخمة بأمراض تتلبسها، ولا تملك من قبضتها فكاكاً ولا من آثارها مهرباً.

ثانياً: التحرش الجنسي بالنساء:

أن التحرش الجنسي ظاهرة عنف ضد المرأة؛ وهي نابعة من الرغبة في التسلط وفرض السلطة؛ والرغبة في إذلال وإهانة المرأة؛ والأضعف في معظم الحالات. وتكون استراتيجية المعتدى عادة هي إضعاف إرادة الضحية وإرغامها على القبول بعمل ما يثير الارتباك والانزعاج، ويستغل المعتدى موقفه ويستمد مشروعية تصرفه من خلال اقتناعه بتفوقه الاجتماعي.

وإلى جانب هذا، يحاول المجتمع بكل طبقاته السياسية والاجتماعية إسدال الستار عليها، وذلك لأسباب تعود لتورط البعض ممن يعتبر المرأة

الجسد نكهة؛ أو نكهة اللعبة السياسية، وأيضاً لاستفادة البعض الآخر ممن يعتبر الأنثى رقماً في جدول الأرباح المالية، وأيضاً لتخوف أطراف ثالثة من ذوي الضحايا والمغلوبين من عار ينبغي التكتم عليه، رغم الآثار الرهيبة التي يخلفها هذا النوع من التحرش لدى المرأة معنوياً وجسدياً.

كما تعيش المرأة ظاهرة التحرش الجنسي يومياً سواء في الشارع أم في وسائل النقل، وفي المؤسسة التي تعمل فيها، وأحياناً في البيت الذي تعيش فيه مع أقرب المحارم، وفوق ذلك يفرض عليها التكتم عليه، الأمر الذي يدعو إلى التساؤل عن أسباب سكوت المرأة في العالم العربي على هذا السلوك؛ وكيف يستغل بعض الرجال موقعهم في السلطة للممارسة التحرش الجنسي ضد المرأة. وأخيراً كيف تؤثر المضايقات الجنسية على الارتقاء المهني للمرأة وعلى الظروف التي تؤدي عملها داخل المؤسسة؟

التساؤل السابع
هل هناك إحصائية لظاهرة التحرش الجنسي بالأطفال؟

إن البحث عن الدمار داخل الأسرة صعب، لذلك لا نستطيع أن نحدد بدقة عدد الأطفال الذين تعرضوا للتحرش الجنسي داخل أسرهم، لتكتم الأطراف المعنية، ولأنها مسألة مرتبطة بطبيعة مجتمعاتنا المبنية على ثقافة "الستر"، والتي تخاف الفضيحة، إضافة إلى ضعف تواجد الإحصائيات عموماً في مجتمعاتنا. ورغم صعوبة الحصول على أرقام حقيقية حول مسألة التحرش الجنسي بالأطفال، فإن بعض الدول قد أعلنت عن إحصاءات تعطي دلالة واضحة على انتشار ظاهرة التحرش الجنسي بالأطفال.

١- التحرش الجنسي بالأطفال في الأردن:

تبين سجلات عيادة الطب الشرعي في وحدة حماية الأسرة بالأردن أن عدد الحالات التي تمت معاينتها خلال عام ١٩٩٨م قد بلغ ٤٣٧ حالة، شملت ١٧٤ حالة إساءة جنسية على الأطفال، وكانت مصنفة حسب ما يلي: ٤٨ حالة إساءة جنسية كان المعتدي فيها من داخل العائلة، و٧٩ حالة إساءة جنسية كان المعتدي فيها معروفاً للضحية - قريب أو جار أو غيره - و٤٧ حالة كان الاعتداء على الطفل فيها من قبل شخص غريب.

٢- التحرش الجنسي بالأطفال في لبنان:

أشار المؤتمر الرابع اللبناني عام ٢٠٠٠م لحماية الأحداث إلى ارتفاع عدد الاعتداءات الجنسية على القاصرين خاصة الذكور منهم، على يد أقرباء لهم أو معتدين قاصرين.

٣- التحرش الجنسي بالأطفال في مصر:

أن حوادث الاعتداء الجنسي على الأطفال تمثل ١٨% من إجمالي

الحوادث المختلفة للطفل. وفيما يتعلق بصلة مرتكب الحادث بالطفل الضحية فقد أتضح أن النسبة هي ٣٥% له صلة قرابة بالطفل، و٦٥% ليست له صلة بالطفل.

٤- إيذاء الأطفال في السعودية:

أكدت إحدى الدراسات التي قامت بها اللجنة القومية لمنع إيذاء الأطفال أن هناك عشرات الآلاف من الأطفال الضحايا الذين يعانون من الصدمات النفسية الشديدة مدى الحياة نتيجة إيذائهم. وقد تبين أن هناك ٧٧% من هؤلاء المعتدين "آباء" للأطفال الضحايا، و١١% من أقاربهم، وأن أكثر من ٧٥% من المعتدين هم أشخاص معروفون للضحية تربطهم بالطفل علاقة قربى أو معرفة، والتحرش الجنسي أحد أنواع هذا الإيذاء.

٥- التحرش الجنسي بالأطفال في أمريكا:

ذكرت دراسة صدرت في الولايات المتحدة عن الجمعية الأمريكية للتعليم الجامعي للنساء أن نحو ٨٠% من طلاب المدارس الأمريكية ذكوراً وإناثاً قد تعرضوا إلى نوع من أنواع التحرش الجنسي في حياتهم المدرسية. وتشير الدراسة إلى أن أربعة من كل خمسة طلاب يتعرضون إلى تحرشات جسدية ولفظية – عادة ما تكون أمام المدرسين – تبدأ في سن مبكرة منذ دخولهم المدرسة.

٦- التحرش الجنسي بالأطفال في كرواتيا:

هناك دراسة أعدت مؤخراً في كرواتيا، أثبتت أن واحدة من كل أربع فتيات تعرضت للاغتصاب على يد أقربائها، وأن كل واحد من ستة شباب يتعرضن للاغتصاب، ويقول الأطباء الذين يعالجون حالات دون سن العاشرة: أن بعض الأطفال لا يمكن أن يعودوا للحياة الطبيعية، وقد حصل لبعضهم لوثات عقلية بسب الاغتصاب، وبعضهم في حالات نفسية يصعب شفاؤها.

التساؤل الثامن
ما آثار التحرش الجنسي على الطفل؟

للتحرشات الجنسية على نفسية الطفل عواقب كثيرة؛ منها ما يلي:

١- قد يتلذذ الطفل من هذا الموقف ويستمر على ذلك، ويؤدي به إلى الانحراف إذا أهمل ولم يتلقى النصح والحذر من ذلك.

٢- يشعر بالخوف من قبل والديه خشية من العقاب أو التندر عليه أو الاستهزاء به، ويخاف من المعتدى عليه لأنه ربما يهدده بالقتل أو بشيء آخر إن أفشى ذلك لأحد.

٣- يشعر الطفل بالإهانة من جراء ذلك التحرش، وتنتابه نوبات من البكاء والإحساس بالمرارة.

٤- يعاني من الانطواء والعزلة النفسية، ويكره الآخرين ولا يرغب في تكوين علاقات اجتماعية مع الآخرين.

٥- يصاب باضطرابات نفسية مختلفة مثل النكوص أو الكآبة وأحياناً الانتحار أو الوسواس القهري.

٦- يعاني من الدونية ونقص الثقة بالنفس.

٧- قد يصاب الطفل بأمراض جسمية وعقلية.

٨- يصاب بالخجل ويكون من الصعب عليه التعامل مع الآخرين.

٩- يصاب بالشذوذ الجنسي كاللواط للرجل أو السحاق للمرأة.

١٠- يعزف عن الزواج خوفاً منه؛ وإن أجبر على الزواج لا يسعد به.

١١- يخجل من الإفصاح عما يعاني من أمراض في الجهاز التناسلي والتهابات مختلفة.

١٢- يعاني من تأنيب الضمير الشديد.

١٣- تسيطر على الطفل أحلام اليقظة والكوابيس السوداء.

التساؤل التاسع
هل هناك اقتراحات للمحافظة على الأبناء من التحرش الجنسي حسب السن؟

هناك اقتراحات مفيدة لجميع الفئات العمرية – إناثاً وذكوراً – يمكن أن يأخذ بها الآباء على النحو التالي:

الطفل الرضيع:

- الحرص على عورته وأن لا نتركه لأي شخص حتى يغير له ملابسه أو يحميه.
- أن لا نعوده على تحسس أماكن العورات.
- أن لا نتركه في المنزل لوحده مع الخادمة والأفضل أخذ الطفل معنا، أو تركه في منزل جده.

إذا بلغت البنت ٦ سنوات:

- لا تخرج من المنزل لوحدها في فترات الظهيرة والمساء.
- يتم إفهامها ألا يحاول أحد أن يتحسسها في أماكن عورتها، لأن هذا عيب، وهذه منطقة لا يطلع عليها أحد.
- إذا خلعت ملابسها، فتخلعها بعدما تتأكد أن باب الغرفة مغلق.
- لا تخلع ملابسها أبداً خارج المنزل مهما كانت الأسباب.
- لا نجعلها تخرج أبداً مع السائق لوحدها.
- لا تلعب مع أبناء عمها أو أبناء خالها الأكبر منها سناً أبداً وحدها.
- محاولة تعويدها على لبس الملابس الداخلية الطويلة (في حالة ارتدائها فستاناً)، بالإضافة إلى تعليمها طريقة الجلوس السليمة، مثل أن لا تجلس ورجلها مفتوحة، وملابسها مرتفعة.

- لا تدخل أبداً غرفة السائق أو الخادم.
- تنمية الرقابة الذاتية لديها عن طريق تدريبها على تغيير محطات التلفزيون إذا ظهرت لقطات مخلة للآداب وحتى ولو كانت وحدها.
- بدء الفصل في النوم عن أخوتها الشباب.

إذا بلغ الولد ٦ سنوات:

- لا يخرج من المنزل وحده في فترات الظهيرة والمساء.
- تعويده على النوم على الشق الأيمن إتباعاً للسنة النبوية، فإن نوم الطفل على وجهه يؤدي إلى كثرة حك أعضائه التناسلية.
- يتم إفهامه أن لا يحاول أحد أن يتحسسه في أماكن عورته.
- البدء في تعليمه الاستئذان قبل الدخول على الأم والأب أوقات الظهيرة والعشاء والفجر.
- إذا خلع ملابسه، يتأكد أنه لا يوجد هناك من يراه.
- تنمية الرقابة الذاتية لديه عن طريق تدريبه على تغيير محطات التليفزيون إذا ظهرت لقطات مخلة بالآداب.
- بدء الفصل بالنوم مع أخواته الفتيات.

إذا بلغت البنت ١٠ سنوات:

- تشرح لها والدتها معنى البلوغ، والدورة الشهرية.
- تتحدث معها والدتها حول معنى الاعتداء الجنسي وتورد لها قصصاً في هذا الموضوع.
- توضح الأسباب الحقيقية من وراء منع والدها لها ما يلي:
  - الخروج مع السائق وحدها.
  - اللعب مع أولاد العم والخال الأكبر سناً لوحدها.

- دخول أماكن يتواجد بها العمال والصباغين والخدم والطباخين الرجال.

- تربية البنت على الحياء، والنظرة الحلال، وتغيير التليفزيون إذا ظهرت لقطات مخلة بالآداب، أو ظهرت سيدة غير محتشمة.
- البدء في تدريبها الامتناع عن لبس القصير والعاري في المنزل، وبالأخص أمام أخوتها الشباب ووالدها.
- ضرورة الابتعاد عن الفتيات في المدرسة اللاتي يكررن محاولة الالتصاق الجسدي، أو مسك اليد أو الاحتضان.

إذا بلغ الولد ١٠ سنوات:

- يشرح له والده معنى البلوغ والاحتلام.
- يتحدث معه والده حول معنى الاعتداء الجنسي، ويورد له قصصاً في هذا الموضوع.
- يوضح له أهمية أن يحتاط في اللعب مع زملائه في المدرسة وضرورة الانتباه للحركات التالية والتي تصدر من الزملاء الأكبر سناً إذا تكررت:
  - التقبيل.
  - مسك اليد وتحسسها.
  - وضع اليد على الشعر.
  - الالتصاق الجسدي أو الاحتضان.
  - المديح لجمال الشكل والجسم.
- التربية على الحياء والنظرة الحلال، وتغيير محطات التليفزيون إذا ظهرت أمرأة غير محتشمة، أو لقطات مخلة بالآداب.

إذا بدأت علامات البلوغ تظهر على الفتاة:

- تشرح لها والدتها طريقة تكوين الجنين، وأن الطريق الوحيد في الإسلام له هو، الزواج فقط.
- توضح لها أهمية ارتداء الحجاب، والأسباب التي جاء من أجلها تحريم الخروج دون حجاب.
- توضح لها والدتها تحريم الاختلاء بشخص أجنبي عملياً ويدخل في ذلك كل أبناء خالاتها وعماتها مع بيان معنى الخلوة المحرمة شرعاً.
- تشرح لها أهمية ابتعادها عن الفتيات اللاتي يوزعن أفلاماً جنسية، أو أرقام هواتف الشباب.
- بيان صفات الفتاة المسلمة صاحبة الأخلاق الراقية بعدم حديثها مع أي شاب لا تعرفه، ويحاول التعرف عليها.

إذا بدأت علامات البلوغ تظهر على الولد:

- يشرح له والده طريقة تكوين الجنين، وأن الطريق الوحيد في الإسلام له هو الزواج فقط.
- يوضح له أهمية غض البصر.
- يوضح له تحريم الشرع في الاختلاء بأي فتاة.
- يتحدث معه حول ضرورة ابتعاده عن الشباب الذين يروجون أفلام الجنس ويحثون على الحديث مع الفتيات.

التساؤل العاشر
ما دور الآباء في حماية الأبناء من التحرش الجنسي من وجهة النظر الإسلامية؟

حينما يتحدث المرء عن التحرش الجنسي بالأطفال، فإنه يتحدث عن أحزان وآلام ونتائج سيئة لبدايات خاطئة. ويتحدث بالطبع عن أسر تصدعت، ومجتمع تأثر وكاد ينتكس تحت وطأة هذا الأمر. وأطراف المتأثرين بالتحرش الجنسي بالأطفال عديدة: المتحرش به، المتحرش، أسرة المتحرش به، أسرة المتحرش.

وتزداد القضية تعقيداً وإشكالاً حين يكون أطراف المشكلة من الأقارب أو المحارم، لما يلقى ذلك من ظلال كئيبة على كيان الأسرة الكبيرة، والعائلة الممتدة. وأسباب التحرش كثيرة، منها تجاوز العديد من الأسر للحدود الشرعية، ومنها إهمال الوالدين والمربين، ومنها سوء تربية المتحرشين. وكما علينا ألا نغفل دور المجتمع في أن يكون سبباً فيما يصيب أطفالنا من تحرشات عبر ما يقدمه من مثيرات ومرغبات، وما يضع من عوائق في الزواج وصعوبات فيه.

وفي ضوء ما تقدم، فعلى الآباء دور كبير لحماية الأبناء من التحرش الجنسي على الوجه التالي:

١- التحرش الجنسي والتربية الجنسية:

هذه المساحة التي ظلت لسنين طوال منطقة محظورة الاقتراب أو التصوير كانت سبباً رئيسياً وأساسياً في وقوع حالات التحرش الجنسي بالأطفال؛ إذ غالباً ما يستغل المتحرش جهل براءة الطفل أو الطفلة، ليوقعه في

براثنه تحت خدعة أنها لعبة من الألعاب كالتي يمارسها الأطفال مع بعضهم، فينقاد الطفل في براءة لما يحدث، وتكون الكارثة بعد ذلك.

وإذا كان ما يزال هناك العديد من الآباء والأمهات يتساءلون: هل يجوز للمربي أن يحادث ابنه أو ابنته في المسائل الجنسية؟ هل لـه أن يعرّفـه أو يعرّفها بالفوارق ما بين الجنسين؟

إن أطفالنا في الأعم الأغلب يبدءون في قراءة وحفظ القرآن الكريم أو جزء منه وهم في سن صغيرة، ولقد تحدث القرآن الكريم بوضوح عن النطفة من أين أتت وكيف تتكون في رحم المرأة، وتحدث عن خلق الإنسـان مـن أخلاط النطفتين من الرجل والمرأة، وتحدث عن الجماع "الرفث" ليلة الصيام، وتحدث عن المحيض واعتزال النساء فيه، وتحدث عن حمل الولد في بطـن أمه ومدة إرضاعه، وعن الزنا، وعن إتيان الرجال شهوة مـن دون النسـاء، وغير ذلك، وهذه بعض السور: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَـاهُ نُطْفَـةً فِـي قَـرَارٍ مَّكِـينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ [الإنسان: ٢]، ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَـا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْـلِ ولا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِـيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُـرْنَ فَـإِذَا

تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥]، ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ الإسراء: ٣٢]، ﴿وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨٠-٨١].

لقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك وأكثر منه، فكيف يمكن للولد أن يفهم معنى هذه الآيات إذا لم توضح له وتشرح من قبل الوالدين والمربين؟؟

٢- وفرقوا بينهم في المضاجع:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (رضي الله عنهم) قال: قال (ﷺ): **"مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع"** [رواه أحمد وأبو داود بإسناد حسن].

هذا الحديث من الإبداع بمكان، بل هو مدرسة تربوية كاملة، وفيه عدة فوائد كما يلي:

- عرّف هذا الحديث الأطفال من أول الأمر أن هناك حلالاً، وأن هناك حراماً، فربى الطفل على التربية الإسلامية منذ نعومة أظفاره.

- مسألة التفريق في منامات الأطفال هذه هي من باب سد ذرائع

الشر، وفي ذلك إشعار بأهمية صيانة أبنائنا، وإغلاق الطريق التي يمكن أن تفضي بهم إلى الوقوع في المحرم، فإن شارك الأولاد في فراش واحد يمكن أن يؤدي بطريق غير متعمدة أو بدافع الفضول إلى محاذير يحسن تجنبها، ومن مقاصد الشريعة سد أبواب الشر، ومنع ما يفضي إلى الحرام.

- جمع هذا الحديث بين تربية الإيمان والسلوك وإغلاق باب الشر في وقت واحد، إذ أمر أن نربي أبناءنا على الصلاة ونحثهم عليها، والصلاة هنا الفريضة، كما أنها النهي عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فهذه هي تربية الإيمان والسلوك، والتفريق في المضاجع هو سد باب الشر، وهذان الجناحان هما أكثر ما يحتاجه أبناؤنا في مثل هذه السن.

- جعل الحديث مسألة التفريق هذه من الضرورة بحيث ربطها بالصلاة؛ وهو ما يؤكد أهميتها ومكانتها.

- هذا الحديث يبث في الأطفال إحساسهم بقيمتهم، ويبين لهم أن لهم قدراً ومنزلة عند بلوغهم هذه السن؛ وهو ما يحقق كياناتهم وثقتهم بأنفسهم منذ الصغر.

- أخيراً، مسألة التفريق هذه هي حق من حقوق الأبناء على آبائهم، فواجب على الآباء التفريق بين أبنائهم في مضاجعهم، لغرس العفة والاحتشام والآداب والالتزام في نفوسهم منذ الصغر.

٣- المراقبة والملاحظة:

على الآباء والمربين ألا تغفل عيونهم عن مراقبة أولادهم وملاحظتهم،

لا نقول أن تحرموهم حرية الحركة والتعبير عن الذات، لكنها عين الحارس والمتابع، والملاحظ لكل ما يحدث معه أبنائه، سواء من اختلاطهم بمن حولهم، أو من تغيرات تظهر على الأبناء، فإن بدا من ذلك شيء وجب علاجه قبل أن يكبر ويستفحل ويستشري، وهذه هي المسئولية التي كلف الله تعالى بها كل أب ومرب، فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول: "**كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته**" [رواه البخاري ومسلم].

وفي ضوء ما تقدم فإن الاعتداء الجنسي على الأطفال خطر محدق، وإذا كان هذا الاعتداء من قريب فإنه عادة ما يصاحبه تهديد ووعيد حتى لا يفشي الصغير السر، كما أن الاعتداء غالباً ما يكون متكرراً، نظراً لسهولة تواجد هذا القريب في محيط الطفل، وبذلك قد يستمر الخطأ ربما لوقت طويل، وتظهر آثاره على حالة الطفل النفسية؛ من اضطرابات سلوكية، وكوابيس، وضعف شهية، وميل للعزلة، وضعف وتراجع دراسي، وأكثر من ذلك تشوه شخصيته تشويهاً قد يلازمه طوال حياته، ويصعب علاجه والتخلص تماماً من مفاسده، وقد يستمر الطفل في ممارسة الخطأ حتى يكبر بل ويشيخ.

لقد قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

يقول الإمام الطبري في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره: يا أيها

الذين صدقوا الله ورسوله ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ يقول: علموا بعضكم بعضاً ما تقون به من تعلمونه النار، وتدفعونها عنه إذا عمل به من طاعة الله، واعملوا بطاعة الله". وقوله: ﴿وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ يقول: وعلموا أهليكم من العمل بطاعة الله ما يقون به أنفسهم من النار".

ويقول الإمام القرطبي: "علينا تعليم أولادنا وأهلينا الدين والخير، وما لا يستغنى عنه من الأدب، وهو قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، ونحو قوله تعالى للنبي (ﷺ): ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾".

إن التحرش الجنسي سببه الأول الوالدان والمربون، وهم المسئولون الأوائل في أن يقوا أنفسهم أولاً ناراً سببها تقصيرهم في حق أطفالهم، وذلك عبر أن ينشئوا أطفالهم وفق منهجية الإسلام وإيمانياته وأخلاقه، فيدخلوهم الجنة، ويدخلوا بسببهم الجنة.

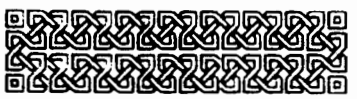

التساؤل الحادي عشر

كيف يمكن توفير الحماية للطفل من التحرش الجنسي؟

يمكن توفير الحماية للأبناء من التحرش الجنسي على النحو التالي:

١- توعية الأبناء منذ الصغر وبشكل صريح بعيد عن الابتذال والتطرف في الصراحة.

٢- أن تكون التوعية حسب عمر الطفل، فإذا كان صغيراً تقدم التوعية في صورة بسيطة جداً، أما إذا كان كبيراً فيمكن تزويده بكثير من المعلومات.

٣- عدم السماح للأطفال بالنوم في فراش واحد.

٤- ينبغي مراقبة الصغار عند اللعب خاصة عندما يختلون بأنفسهم، فقد يعملون أشياء تعتمد على تقليد الكبار.

٥- لا يسمح للأطفال اللعب مع الكبار والمراهقين لئلا يحدث المحذور عن طريق الاستغلال والاعتداء والانحراف.

٦- ينبغي على الوالدين الحرص والحذر الشديد أثناء ممارسة العلاقة الجنسية فيما بينهما، وأن يسيطرا على كل مجال يتيح التلصص لأبنائهما أو سماع صوتهما لأن حب الاستطلاع لدى الأبناء في هذا الشأن شديداً جداً.

٧- تجنب التحدث أمام الأطفال أو التشويق أو الإثارة الجنسية مهما كان نوعها.

٨- إرشاد الأمهات بعدم مداعبة طفلها من خلال أعضاءه الجنسية وهو صغير، ولا شك أن غرضها في هذا الشأن هو الدعابة ولا تدري أن هذه المداعبة ستجلب له المشاكل فيما بعد.

٩- الابتعاد عن تخويف وترويع الطفل حتى يكون صريحاً مع والديه إذا ما تعرض لهذه الفعلة الشنعاء.

التساؤل الثاني عشر
هل توجد علاقة بين ملابس المرأة والتحرش الجنسي؟

يرى البعض أن سبب التحرش الجنسي بالمرأة يرجع إلى التكشف والعري وعدم الاحتشام، وليس من الإنصاف أن نحمل الرجل مسئولية كاملة في هذه الحوادث، بل لابد من الاعتراف أن النساء بسلوكهن الاجتماعي قد يكن سبباً رئيسياً في التحرش، وهذا لا يعني إخلاء مسئولية الرجل. ويرى آخرون أن عدم احتشام المرأة وإخضاعها بالقول قد يكون سبباً في التحرش الجنسي، ألا إنه يوجد على الجانب الآخر تحرش جنسي بالنساء المحجبات!!.

وعليه، يمكن أن ترتبط حشمة المرأة سواء في الملبس أم في السلوك بظاهرة التحرش الجنسي، ألا إنه لا ينبغي أن تتحمل المرأة جميع الأوزار؛ بل ينبغي أن نتعامل مع المرأة على أنها شريك للرجل؛ وأنها إنسان نتعامل معه بكل احترام وتقدير، ولا ننظر إليها على أنها موضوع للجنس فقط، فالمرأة في صدر الإسلام خاضت الحروب مع الرسول (ﷺ)، وكانت تجلس للتدريس، وتعمل في مجال الفتيا، وتمارس كل الأعمال المتاحة. فالمرأة غير منقطعة عن الحياة لأنها نصف المجتمع، ونصف قوته في الإنتاج والتنمية.

وإلى جانب هذا، هناك تحولات عديدة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية اقتضت خروج المرأة إلى ميدان التعليم والعمل؛ وإلى كل الميادين، ولم يعد منطقياً الرجوع إلى الوراء، ولا يمكن عزل النساء، وعليه، المطلوب تقوية وردع هذه النوازع الخاطئة والمخالفة للدين لدى الرجل، كما يجب على المرأة أن تسعى لحماية نفسها بكل الوسائل الممكنة من التحرش الجنسي.

التساؤل الثالث عشر
ما أسباب تكتم المرأة على ظاهرة التحرش الجنسي؟

تسكت المرأة في أغلب الحالات عن ظاهرة التحرش الجنسي؛ ولا تجرؤ على البوح بهذا سواء لزوجها أو لعائلتها ومحيطها العملي أو المجتمع، ويعزي هذا إلى النقاط التالية:

١- يجب أن تكون المرأة خاضعة للرجل، وبالتالي هي الأضعف. ومن ثم، عليها أن تخضع وترضخ حتى تكون امرأة صالحة ومثالية. وإذا تعرضت للتحرش الجنسي؛ فإنها ترغب في التستر على هذه الواقعة؛ لأنها لو صرّحت بما وقع عليها من اعتداء على حريتها وكرامتها، فسوف يحمّلها المجتمع مسئولية هذا.

٢- تتعرض المرأة دوماً للنبذ والقهر الاجتماعي، وعليه لا تستطيع أن تبوح أو تواجه ما تتعرض له من تحرشات جنسية من منطلق إحساسها بأنها كائن ضعيف لا تقدر على المقاومة والتصدي لما يحدث لها.

ومن أجل مواجهة هذا، ينبغي على المرأة أن تكون على مستوى عال من الثقة، وأن ينظر إليها المجتمع على أنها كائن مساو للرجل في كل الحقوق والواجبات. ومن ثم، عليها أن تتقدم بكل شجاعة لإدانة الرجل الذي تعدى على حقها، شأنها في هذا شأن من تعرض للسرقة، أو من تعرض لإصابة خطأ، أو من تعرض لأي اعتداء من أي نوع حتى يكف المجتمع هذا المجرم عن اعتداءاته واستمرارية هذا الفعل الشائن، لأن المرأة إذا لم تقف أمامه وتبلغ عن هذه الفعلة؛ فقد يكون هذا سبباً في أن يتمادى لأنه يعرف أن الضحية لا تجرؤ على إدانته أو الوقوف أمامه. ولتحقيق هذا؛ لابد أن تثق المرأة في نفسها وفي مكانتها، وأن يضعها المجتمع في المكانة اللائقة بها

حتى يستطيع أن يجتث من هذه الفعلة الشنعاء من الجذور، ثم يوقف كل معتدي عنده حده ولا يسمح له بالتمادي.

وإلى جانب الأسباب الذي ذكرت آنفاً ضعف القانون الذي يحمي المرأة من التحرش في البلدان العربية، فمثلاً جريمة هتك العرض تعد جناية في القانون المصري، والعقوبة المقدرة عليها تتراوح ما بين ثلاث سنوات إلى سبع سنوات، وإذا وقعت الجريمة من شخص يتولى تربية المرأة أو له سلطان عليها بأي شكل من الأشكال، أو كانت ممن تعمل لديه بأجر توقع عليه العقوبة في حدها الأقصى. وإذا كانت العقوبة المقدرة لهذا الفعل في بعض البلاد العربية ضعيفة و غير مؤثرة؛ فعلى مشرعيها وعلى النساء المطالبة بتعديل العقوبة حتى يتم تأمين المواطنين وعدم ترويعهم.

كما أن القوانين الوضعية لا تساوي بين المرأة والرجل، وبالتالي يجعل الضحية في موقف الأضعف، وغير قادرة على انتزاع الحق القانوني وعلى ردع المعتدي بطريقة تكفل عدم تكرار هذا الفعل، وهذا الوضع غير المتكافئ والمناخ الاجتماعي الثقافي الذي يحول دون المرأة واللجوء إلى القانون، بل وحتى يحول دون المرأة ومعرفة القانون، يعني حتى الجهل أحياناً بالقانون هو أحد الأسباب، ولكن على فرض أنها استطاعت أن تدرك أن هذا حقها في الدفاع عن كرامتها، ثم تجد أن هناك نص قانوني يعاقب هذه الفعلة؛ فعليها إثبات هذا؛ وهذه عقبة أخرى، فكيف تستطيع المرأة أن تثبت للمحكمة أن التحرش الجنسي قد حدث؟.

ومن أسباب تستر المرأة على جريمة التحرش الجنسي يعزى إلى إذ لم تتمكن من إثبات الواقعة؛ فالضرر النفسي والاجتماعي والمعنوي الذي ستعانيه قد يعادل الضرر الناشئ عن التحرش إن لم يزد عليه، وبالتالي تجد نفسها في

وضع تفضل فيه السكوت وتلوذ بمعاناتها وبألمها وبالصدمة النفسية التي عانتها، والتي ربما تنعكس على حياتها مستقبلاً حتى عل علاقتها بزوجها أو على حياتها المهنية أو الاجتماعية، أو حتى على طريقة تربية أطفالها.

وربما يمتد هذا الأثر لبعض النساء المتحرشات جنسياً رغم ثقافتهن، ووصولهن إلى مستوى مهني عالٍ إلى أن ترفض رفضاً مطلقاً أن تعمل بناتهن في مكان فيه رجال، لأنهن تعرضن وهن صغار أو في صدر الشباب لاعتداء من هذا النوع، ولم يستطعن الدفاع عن أنفسهن، ومن ثم سيكون لهذا آثاره السلبية على من تعرضن للتحرش الجنسي. وإلى جانب هذا، يفضل المناخ الاجتماعي العام أن لا تلجأ المرأة إلى القضاء، وألا يتم عرض هذه الأمور بشكل صريح بحيث يعتبر أنَ مجرد شهادتها أمام القضاء والإدلاء بما حدث هو في حد ذاته نوع من الإيذاء المضاعف لها.

التساؤل الرابع عشر
هل تتعرض المرأة في العمل إلي التحرش الجنسي؟

تزداد في حياتنا المعاصرة اليوم معاناة المرأة العاملة والدارسة سواءً كانت فتاة أم متزوجة بسبب ظاهرة "التحرش الجنسي"، والتي تتلون مظاهره بين التحرش الشفهي من إطلاق النكات والتعليقات المشينة، والتلميحات الجسدية، والإلحاح في طلب لقاء، وطرح أسئلة جنسية، ونظرات موحية إلى ذلك، ثم تتصاعد حتى تصل إلى اللمس والتحسس والقرص. وهو يعد من ألوان إهانة المرأة وإذلالها، وهو صورة من صور الأذى التي حذر الله تعالى من وقوعه على المرأة، قال تعالى: ﴿فَلاَ يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وهذه المعاناة أخذت تبرز في مقدمة اهتمامات سائر الدول اليوم، بعد أن كانت تعالج في الخفاء، فأنشئت من أجلها المنظمات المناهضة، وعقدت المؤتمرات، وسنت القوانين. ودراسة هذه الظاهرة من الصعوبة بمكان فالأرقام والإحصائيات لا تمثل إلا جانباً بسيطاً من تلك المعاناة التي تعيشها المرأة العاملة في العالم اليوم، وذلك للأسباب التالية:

١- حساسية الموضوع، وأن كثيراً من ضحايا التحرش تخاف من الفضيحة، وتلويث السمعة، فأن أصابع الاتهام ستشير إليها بالدرجة الأولى، لذلك فهي تفتقد الجرأة والشجاعة في التحدث عن معاناتها. أن ظاهرة التحرش الجنسي هي قضية "مسكوت عنها" في المجتمع العربي والإسلامي نظراً لحساسية هذه القضية ولا توجد إحصائيات أو أرقام توضح مدى هذا التحرش، وهو ما يجعل الوقوف على آثار الظاهرة صعباً.

٢- بعض الضحايا تخاف من فقد عملها، حيث تذكر (س) كيف أنها

كانت تكره الذهاب إلى عملها حيث كان رئيسها يتحرش بها جنسيا كل يوم. وتقول أنها شعرت بكونها أسيرة الحاجة لكسب عيشها وبالعجز عن مقاومة إساءاته وتحرشاته المباشرة.

٣- الخوف من تعثر الدراسة جعل بعض الضحايا يلتزمن الصمت. وهنا تقول (ص): "عمري ٢٣ سنة أدرس سنة ثالثة حقوق رسبت سنة لأنني ببساطة رفضت المواعيد الغرامية التي كان يضربها لي أستاذي الفاضل، لا أحد من عائلتي يعلم بالأمر، فقط صديقاتي، ولحسن حظي أنه لم يدرسني خلال السنة التي تلت". ومن ثم، فضلت (ص) التنازل عن سنة من عمرها، ومثيلاتها كثيرات، بينما أخريات رضخت للأمر الواقع سواء اختصاراً للطريق أو هرباً من شبح الرسوب، كما لا تزال أخريات إلى الآن يعانين من المساومة، وهناك أستاذ ينتظر منهن الإجابة بنعم، وإلا فإن النجاح سيصبح صعب المنال.

٤- شعور الضحايا بأن الجاني عليها لن يجد العقاب الرادع له، وأن رئيسها المباشر لن يسمع لها خوفاً على سمعة عمله. ففي اليابان مثلاً شكت معظم ضحايا التحرش من العاملات من امتناع مسؤولي العمل عن اتخاذ أي إجراء عقابي أو رادع بحق المتحرشين بهن.

٥- إثبات حدوث التحرش من أصعب الأمور على المرأة، فعند سؤال (ع) وصديقتها فيما إذا كانتا تعلمان أن القانون يمنع التحرش الجنسي ويعاقب عليه، أبديتا استغرابهما قائلتين "من نستطيع أن نقاضيه؟!" وبعد إخبارهما بأن القانون الجنائي يعاقب على التحرش، قالت أحدهما: "لم يكن في علمي ذلك"، وقبل أن تستدرك، قالت ولكن "كيف أستطيع أن أثبت أن ذلك الرجل تحرش بي؟!".

لهذه الأسباب وغيرها سيظل موضوع التحرش الجنسي بعيداً عن المعرفة الكاملة لصورته الحقيقية، بل قل ولا حتى جانباً كبيراً منه، فقد جاء في دراسة صادرة عن معهد المرأة في العاصمة الأسبانية مدريد: إن عدد اللواتي يتجرأن على التقدم بشكوى لا يتجاوز الـ ٢٥% من مجموع حالات التحرش. لذلك سيبقى التحرش الجنسي من أقبح ألوان الأذى للمرأة، وأبشع صور الظلم لإنسانيتها. وفيما يلي أبرز الآثار التي يتركها التحرش بالمرأة:

جاء في تقرير للجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات: أن الطالبات أكثر شعوراً بالخجل والغضب والخوف والتشوش، وأقل ثقة وأكثر شعوراً بخيبة الأمل تجاه تجربتهن الجامعية بعد تعرضهن للتحرش الجنسي.

وتقول الطالبات: إنهن يتفادين المتحرش بهن أو أماكن معينة في الحرم الجامعي، وأنهن يعانين من صعوبات في النوم أو التركيز. كما أن الطالبات أكثر لجوءاً للاستعانة بشخص يقدم لهن الحماية، أو إلى تغيير مجموعات الأصدقاء، أو الامتناع عن المشاركة في الفصل، أو الانسحاب من المساق، أو التغيب عن نشاط ما. علماً بأنهن نادراً ما يبلغن المسؤولين الجامعيين عن تعرضهن للتحرش.

وتقول (ف): إنه كان يلمس شعرها، ويجبرها على حضور اجتماعات غير ضرورية، ويكتب إليها رسائل جنسية فاضحة، ورغم أنه لم يلمس جسدها قط، إلا أنها تقول إنها كانت تشعر بالترهيب النفسي. وتقول: "لقد كنت عرضة لقدر لا يصدق من التوتر. وكنت أقفز خوفاً كلما رن جرس الهاتف لأنه خلق لدي إحساساً بالاضطهاد. كان يأتي إلى مكتبي، وكنت أختفي في دورة المياه، وكان ينتظرني طويلاً".

وتقول (ل): بدأت المعاناة منذ حوالي خمس سنوات، صدمت خلالها

كثيراً أمام إغراءات ومطالب رئيسي في العمل قبل أن يتحول التحرش الجنسي إلى انتقام بعد أن رفضت الاستجابة لطلباته، فقد أصبح يتدخل في كل مرة من أجل حرماني من كل امتياز أو ترقية، وأخذ بالضغط علي من أجل دفعي لمغادرة العمل، بعد أن يئس من النيل مني.

وتقول (ك) ٤٣ سنة سكرتيرة لدى مدير عام بشركة عمومية، منذ أزيد من ستة أشهر أعيش حالة قلق وتوتر دائمين بسبب تصرفات مديري الدنيئة وبحكم أنني سكرتيرته الخاصة فأنا أقضي ساعات معه كل يوم في المكتب أقضيها في التفكير في اختلاق طريقة لتجنب نظراته الوقحة جداً ومحاولاته الدائمة للمسي. مما أثر سلبياً علي. فحتى عندما أدخل بيتي لا أتخلص من العصبية، وكثيراً ما يعود ذلك سلبياً على ابنتي اللتين لا ولي لهما ولا مسئول عنهما غيري، ولعل الحاجة وضرورة العمل والمسئوليات العائلية هي التي تفرض على المرأة الخروج للعمل وتحمل ظروف قاسية.

وفي دراسة صادرة عن معهد المرأة في العاصمة الأسبانية مدريد: أن أغلب هؤلاء العاملات يعانين من أمراض نفسية مثل: القلق، والسهر، واللامبالاة، والخوف، والتعرض للكوابيس. وعندما لا تكون المرأة المتحرش بها جنسياً راضية بالأمر، فإن الأمر يصبح مطاردة، والإحساس بالمطاردة قد يسبب الانهيار العصبي، خاصة إذا كانت ظروف المرأة لا تسمح لها بمغادرة مكان العمل أو الدراسة، فإن بقيت تحت الضغط فقد تصاب بانهيار، وإذا كان بإمكان المرأة المغادرة أو الهروب فإنها تصبح حذرة في علاقاتها حيث ستظل التجربة السلبية راسخة بذهنها وبداخلها.

وفي حال ما إذا كانت المرأة الطالبة أو العاملة ذات شخصية هشة غير متماسكة أو ضعيفة فسيؤثر ذلك كثيراً عليها في المستقبل فقد يصل بها الأمر

لرفض الارتباط بزوج، لأنها سترى في كل الرجال صورة عن الرجل الذي تحرش بها جنسياً والذي بسببه كونت صورة جد سلبية عن الرجل. وإن وصلت لتكوين أسرة فقد لا ينفع معها تغيير المكان أي أن تغيير الوضعية لن يؤدي بها لتغيير فكرتها وانطباعها لهذه الأسباب وغيرها.

وإذا وقعت المرأة في شباك المتحرش بها، واستطاع التلاعب بها فقد يتعدى الأثر إلى المنزل، فقد تزهد المرأة في زوجها نتيجة العلاقة الجديدة، فتتغير المعاملة مع الزوج، وقد تتفاقم لتصل إلى طلبها الفراق والطلاق!! لتعيش مع من قوض حياتها الهانئة سعياً وراء السراب!!

وترك المرأة للعمل وعودتها للمنزل من أبرز آثار التحرش، حيث تفضل الكثيرات من النساء العودة لمنازلهن بعد تعرضهن للتحرش. وهناك أثر بالغ على سير العمل وقوته، فالقبول لن يكون على أساس الكفاءة والمؤهلات، بل سيكون هناك عناصر جديدة في أولوية التوظيف، فالجمال وحسن المظهر، هما أهم الصفات المطلوبة في المتقدمة عند من نفسه مريضة بهذا المسلك المشين، فضلاً عن المحسوبية في الأداء الوظيفي فيما بعد!! وهذان الأثران على حساب العمل.

وفيما يلي جولة عالمية نتبين فيها معاناة المرأة من هذه الظاهرة:

١ - الولايات المتحدة الأمريكية:

قدم مفوض الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين استقالته على خلفية الاتهام الموجه إليه بالتحرش الجنسي. والذي حواه تقرير سري داخلي في الأمم المتحدة. كما صدر تقرير عن الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات وهي منظمة تدافع عن حقوق المرأة مقرها واشنطن العاصمة. جاء فيه أن حوالي ثلثي من شاركوا في الاستطلاع أشاروا إلى تعرضهم لشكل من أشكال

التحرش الجنسي، وهو ما تعرفه الدراسة بأنه سلوك جنسي غير مرحب بـه، ويعتبر بمثابة تدخل في حياة الطالب. وقد تراوحت أعمار المشاركين في الاستطلاع بين الـ ١٨ والـ ١٤. كما أنهم ينتسبون إلى كليات خدمة المجتمع وكليات جامعية وجامعات خاصة وعامة في أرجاء البلاد. وقد وجد المحللون أن معدلات من يتعرضون للتحرش الجنسي مرتفعة على نحو يثير الدهشة خاصة في ضوء الاهتمام العام بهذا الموضوع في أعقاب الاتهامات الموجهة إلى شخصيات بارزة.

وتشير (هـ) امرأة عملت في الجيش الأمريكي مدة ٢٥ عام حتى وصلت رتبة جنرال، وقد أقيلت من عملها على إثر فضيحة سجن أبو غريب العراقي – إلى العديد من الأحداث التي تتراوح من: مسابقات القمصان القطنية المبللة في حمام سباحة عسكري، إلى هجوم مسلح على وحدة حمامات. وتقول إنها كثيراً ما تحذر النساء الطامحات في دخول الجيش بأنهن سيواجهن "إما التحرش الجنسي، أو الاعتداء الجنسي، أو أنهن سيتعرضن للاغتصاب"، إذا ما التحقن بالجيش.

وقد وجد أحدث وأكبر مسح للعاملين بالقوات المسلحة، أجرته وزارة الدفاع عام ١٩٩٥، أن ٧٨% من النساء و٣٨% من الرجال العاملين في القوات المسلحة قد تقدموا ببلاغات عن تلميحات جنسية غير مرغوب فيها. وهذه الأرقام أعلى مما هي عليه في قوات الاحتياط وفقاً لتقرير صدر عن الكونغرس في سبتمبر عام ٢٠٠٧م. وقد وجد هذا التقرير أن ٦٠% من النساء و٢٧% من الرجال العاملين في قوات الاحتياط والحرس القومي يتعرضون لنوع من أنواع الاعتداء الجنسي أثناء فترة خدمتهم.

٢- أوروبا:

تقرر المفوضة الأوروبية للعمل والشؤون الاجتماعية التي تعتبر نفسها واحدة من ضحايا التحرش الجنسي عندما كانت طالبة: أن حجم هذه الظاهرة غير مدرك على نحو فعلي في دول الاتحاد، وأن ٣٥% من النساء يتعرضن إلى شكل من أشكال التحرش الجنسي في مكان العمل. وتشير إحصائيات المفوضية الأوروبية إلى أنه خلال العام الماضي تعرض نحو ٥٠% من النساء العاملات إلى تحرشات جنسية.

٣- أسبانيا:

جاء في دراسة صدرت عن معهد المرأة في العاصمة الأسبانية مدريد: أن مليون و٣١٠ ألف عاملة تعرضت لنوع من أنواع التحرش الجنسي عام ٢٠٠٥، أي ١٥% من مجموع عدد العاملات في أسبانيا الذي يبلغ ٨ ملايين و٤٢٥ ألف عاملة. وأشارت الدراسة إلى أن ٤٠ ألف عاملة ستغير مكان عملها لهذا السبب.

٤- إسرائيل:

كشفت نتائج إحصاء أجرته سلطة رفع مكانة المرأة في مكتب رئيس الوزراء ومعهد جيووكرتوجرافيا، اشتركت فيه ٦٠٠ من الصهيونيات العاملات في الأوساط المختلفة، أن ٣٥% من حالات التحرش الجنسي تنفذ على يد المسئول المباشر، و٢١% من الحالات تنفذ على يد مسئولين كبار في مكان العمل، وخاصة في أماكن العمل الكبيرة والإدارات الجماهيرية. كما ظهر من النتائج أن ثلث النساء اللاتي تعرضن للتحرشات لم يقمن بخطوات للحل؛ بسبب الخوف من التنكيل أو الخجل.

٥- اليابان:

أشار تقرير حكومي ياباني إلى ارتفاع واضح في قضايا التحرش الجنسي ضد النساء اليابانيات العاملات خلال العام الماضي مقارنة مع الأعوام التي سبقته. واستناداً للتقرير فقد سجلت قضايا التحرش الجنسي في أماكن العمل ارتفاعاً عام ١٩٩٩ بنسبة ٣٥%، مقارنة مع عام ١٩٩٨، تم أكثر من نصفها بحق سيدات عاملات، وشكت معظمهن من امتناع مسئولي العمل عن اتخاذ أي إجراء عقابي أو رادع بحق المتحرشين بهن.

وينص قانون العمل الجديد الذي صدر في اليابان العام الماضي على أن المسئولية عن أعمال التحرش الجنسي التي تحدث في أماكن العمل تقع مسؤولياتها على إدارات الشركات، وذلك أثر التزايد الملحوظ في جرائم التحرش الجنسي في البلاد في الآونة الأخيرة لاسيما خلال العمل، مما أدى إلى تصاعد ردود الفعل العامة ضده، بعد أن كان أقل إثارة للاهتمام سابقاً.

٦- الصين:

قام بعض الباحثين من الأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية بإجراء دراسة على عينة عشوائية من النساء لمعرفة المضايقات الجنسية التي تعرضن لها من جانب زملائهن الرجال، فتبين أن ٤٨% منهن تعرضن لكلام ونكات، وشتائم جنسية. وقال ١٣% أنهن تلقين عروضاً للمعاشرة الجنسية مقابل مصالح حقيقية؛ بينما تعرض ٢٦% منهن للمس والعناق والتقبيل الساخن في أماكن العمل، وهناك عدد غير قليل من النساء يتعرضن للتحرش الجنسي في الأماكن العامة. كما تبين من خلال تحليل ٤٠ شكوى من التحرش الجنسي ما يلي:

١- جميع مرتكبي التحرش الجنسي من الرجال ٩٠% منهم في سن الثلاثين، ومعظمهم متزوجين؛ ٦٧% يشغلون مناصب قيادية.

٢- أعمار ٧٧% من اللاتي تعرضن للتحرش من ٢٢ إلى ٢٥ سنة، ومعظمهن يشغلن مناصب مكتبية أو يعملن فنيات.

٣- معظم حالات التحرش وقعت في مواقع العمل، بينما القليل منها في أماكن عامة أو البيت.

٤- ٢٥% من تصرفات التحرش عبارة عن اللمس والاحتكاك عن عمد؛ النكتة الجنسية، الإغواء بالكلام، ثم طلب الاتصال الجنسي بشكل غير مباشر.

٧- مصر:

تثير الأرقام الفزع حيث تبين أن من بين مائة امرأة يوجد ٦٨ تعرضن فعلاً للتحرش الجنسي داخل محيط العمل سواء كان هذا التحرش لفظياً أو بدنياً!. وفي ضوء هذا، فأن ظاهرة التحرش الجنسي هي قضية "مسكوت عنها" في المجتمع المصري نظراً لحساسية هذه القضية، بالإضافة لعدم امتلاكنا ثقافة كيفية مواجهة مثل هذه الأمور.

٨- الجزائر:

أصبح التحرش الجنسي واحداً من كوابيس المرأة الجزائرية العاملة منها والطالبة الجامعية، برغم القانون الذي يجرمه والذي تم سنه خلال السنوات القليلة الماضية لردع المتحرشين بها وحمايتها من هذا الاعتداء الذي لا يظهر للعيان، بل تحضره غالباً الضحية والمتهم. لهذا تبين إنه تحت وطأة التحرش الجنسي تعاني جزائريات كثيرات في صمت مطبق خوفاً من الفضيحة في مجتمع لا يرحم، ويشهر بالمرأة قبل حتى أن يفصل فيما إذا كانت متورطة أو ضحية، ومن لم تخف من الفضيحة فهي تفكر وتمعن التفكير قبل أن تطرق أبواب المحاكم.

٩- المغرب:

تعاني الكثير من الفتيات والسيدات المغربيات من ظاهرة التحرش الجنسي المتفشية في كثير من مؤسسات القطاع الخاص في المغرب، ويتبع بعض أرباب ورؤساء العمل طرقاً شتى من التحرش للإيقاع بضحاياهم، مستغلين في معظم الأحيان سطوتهم وحاجة تلك النساء للعمل.

١٠- السعودية:

التي بها قبلة المسلمين، ومسجد قبر خاتم المرسلين، يبقى الموضوع له شأن آخر حيث يعد وضع المرأة هناك أشبه ما يكون بالدر المكنون، فهي في مأمن كبير من وقوع التحرش الجنسي بها لعدم وجود الاختلاط في أماكن الدراسة، وأماكن العمل، والفصل التام بين الجنسين، وهذه قناعة تصل إلى حد اليقين عند الحكومة، ويزيدها قوة ونجاح في أرض الواقع تربية الناس هناك أبناءهم منذ نعومة أظافرهم على هذه المبادئ السامية في الحياة. وهذا الكلام لا يعني أنها في سلامة تامة من هذه الظاهرة لكنها تحدث في نطاق ضيق وبصور فردية لا تصل إلى حد الظاهرة، ولا تقارن بما يحدث في بلدان العالم الأخرى، ورغم محافظة المجتمع إلا أن الانفتاح وخروج المرأة للعمل المختلط في بعض المواقع سبب لها معاناة التحرش الجنسي، فقد جاء في تحقيق أجرته صحيفة اليوم السعودية، الجمعة ٢٠٠٦/٤/٢٨، عن هذه الظاهرة أن (هـ) موظفة قطاع خاص، تقول: تعتقد الكثيرات من الزميلات أنني استغل الزملاء الرجال عاطفياً للاستفادة منهم في أداء خدمات لي داخل العمل وخارجه. وهذا غير صحيح .. مشكلتي كانت تكمن في أنني كنت أتعامل مع الزملاء إنسانياً بأسلوب لطيف، فأنا لا أستطيع الظن بأحد ولا أبدأ بالنوايا السيئة بتاتاً كما لا أتوقعها من أحد، وقد دعا ذلك أحدهم، من ذوي النفوس المريضة من الزملاء، لمحاولة التواصل معي بناء على أوهام خاطئة، معتقداً

أن لطافتي الطبيعية تلك أبديها له وحده، وتابعت قائلة وحينما "تعب" ووجد إن إيحاءاته غير مجدية، عمد إلى تلويث سمعتي بين الزملاء والزميلات بالترويج عن علاقة بيني وبينه.

حول أسباب الظاهرة وسبل علاجها:

- يرى البعض أن ثقافة الفصل بين الجنسين في العالم العربي والإسلامي والتي يربى عليها الصغار والكبار، ووضع الحواجز بين الجنسين هي التي تجعل من مجتمعاتنا مسرحاً لمثل هذه الظواهر السيئة. ويكفينا رداً على هذه المغالطة طرح السؤال التالي: لماذا نجد هذا المسلك المشين بنسب عالية في المجتمعات الغربية والشرقية التي تعيش الاختلاط بين الجنسين دون حواجز أو فواصل في كل مراحلهم العمرية، وفي كل مجالات الحياة.

إن الشعور بضرر الاختلاط في الحياة الدراسية والعملية أمر يؤرق عقلاء البلدان التي تعيش حياة الحرية، لذلك أخذت أصوات المناداة بخطر الاختلاط تتعالى في تلك المجتمعات المتحضرة، وباتوا يعتقدون الآن أن تعليم البنين والبنات في مدارس منفصلة يحقق نتائج أفضل. كما أشار أحد الباحثين الفرنسيين في علم الاجتماع إلى أن الاختلاط في المدارس الأوروبية لا يدعم المساواة بين الجنسين، ولا المساواة في الفرص. كما كشف هذا الباحث سوءات عملية الاختلاط في الغرب؛ وخاصة فرنسا التي شهدت ارتفاع معدلات الاعتداءات الجنسية ضد المراهقين داخل المؤسسات التعليمية، فضلاً عن زيادة نسبة الرسوب التعليمي عند الأولاد. ومنذ عام ٢٠٠٠م بدأ القبول بفكرة إنشاء مدارس منفصلة في الولايات المتحدة الأمريكية، كذلك في كل من إنجلترا، والسويد، وفنلندا، وألمانيا؛ حيث يتم الفصل خاصة في حصص المواد العلمية، أما في فرنسا فقد كان التعليم الكاثوليكي أول من نادى بعملية الفصل.

• الزعم أن تدني ثقافة ووعي الرجل خاصة وكذلك المرأة في المجتمعات العربية والإسلامية عن المستوى الحضاري الذي يعيشه الإنسان رجلاً كان أم امرأة في الغرب، هو الذي يتسبب في إفراز مثل هذه الانتهاكات في حق المرأة. ويرى البعض أن التحرش الجنسي في الاختلاط الوظيفي ظاهرة اجتماعية ناشئة بفعل حداثة الاختلاط الوظيفي بين الجنسين؛ ومع الوقت سيعتادها مجتمعنا ويمتص سلبياتها بفعل التنشئة الأخلاقية الدينية السليمة لأبنائه من الجنسين.

ومثل هذه المغالطات نسمعها ونحن في عالم يسعى لشفافية تامة في قراءة نتائج البحوث المرتبطة بحقوق الإنسان، فقد وجد المحللون في الولايات المتحدة الأمريكية أن معدلات من يتعرضون للتحرش الجنسي مرتفعة على نحو يثير الدهشة خاصة في ضوء الاهتمام العام بهذا الموضوع في أعقاب الاتهامات الموجهة إلى شخصيات بارزة في المجتمع الأمريكي. أيشك أحد في وعي وثقافة مثل هؤلاء نحو المرأة؟!.

• أن الذين يعتبرون أهم الأسباب في مثل هذه الظاهرة هو عدم حشمة المرأة في لباسها، ومخالطتها للرجال هم لا يعرفون من حياة المرأة إلا جانب اللذة، وهم سوداوي النظرة، تشاؤميون من كل جديد. ولهؤلاء نقول إن العاقل لا يطلق هذه الأوصاف على الطبيب الذي يخبر مريضه بمواطن المرض في جسده ليتمكن من علاجه، وهكذا دعاة الإصلاح، فإن أحدهم عندما يطرح مثل هذا الموضوع الحساس ويكشف هذه الأرقام المخيفة ليس من باب الفرح بعثرات الآخرين، وكشف أستارهم، وليس قصوراً في النظر على ما استقبح من حياة البشر، ولكن إنما هو من باب أن المسلم هو المرشح لقيادة البشرية إلى بر الأمان، وإنقاذهم من الغرق في بحر الشبهات والشهوات، فقد نال هذه

المنزلة الرفيعة منذ بعثة محمد (ﷺ)، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وفي ضوء العرض السابق، تبين لنا ما يلي:

١- أن ألوان الأذى كالاغتصاب، والدعارة، والضرب، والقتل، والاستعباد التي تتعرض لها المرأة في العالم اليوم ما هي إلا ثمار قبيحة المنظر كريهة الرائحة ومرة المذاق للحياة المتحررة من دين الله تعالى، المنفلته من كل قيم وآداب الفطر السليمة.

٢- أن تخبط البشرية اليوم بين نظريات هذا، وآراء ذلك يؤكد حاجتها إلى معرفة طريق النجاة، الذي حاد عنه الإنسان منذ أن قدس عقله وأله هواه، وترك وحي ربه وراء ظهره! فكانت النتيجة هذا الشقاء الذي ينقلب فيه البشر رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]. والمجتمعات الإسلامية ينالها من هذا الشقاء بقدر إعراضها عن الله تعالى.

٣- أن المرأة المسلمة تعيش حياة كريمة لما أعطاها الإسلام من مكانة سامية في الحياة، وهذا لا يعني عدم تعرضها لصور الأذى الخلقي التي تتعرض له المرأة في العالم، لكن شتان بين الثرى والثريا، الأمر الذي يجعل منها رمزاً لفخر كل مسلم ومسلمة في العالم.

فقد خلقت المرأة في نظر القرآن من الجوهر الذي خلق منه الرجل. وهي ليست من ضلعه بل (نصفه الشقيق) كما يقول الحديث النبوي (النساء

شقائق الرجال) المطابق كل المطابقة للتعاليم القرآنية التي تنص على أن الله قد خلق من كل شيء زوجين. ولا يذكر التنزيل أن المرأة دفعت الرجل إلى ارتكاب الخطيئة الأصيلة، كما يقول سفر التكوين. وهكذا فإن العقيدة الإسلامية لم تستخدم ألفاظاً للتقليل من احترامها، كما فعل أباء الكنيسة الذين طالما اعتبروها (عميلة الشيطان). بل إن القرآن يضفي آيات الكمال على امرأتين: امرأة فرعون ومريم ابنة عمران أم المسيح (عليه السلام).

التساؤل الخامس عشر
هل يعاني الطلاب والطالبات في الجامعات من التحرش الجنسي؟

أن التحرش الجنسي سلوك له مضمون جنسي موجه ضد المرأة؛ ويستغل أو يستمد بشكل من المشروعية من علاقة التفوق السلطوي الاجتماعي السياسي أو الثقافي في المجتمع الذي يتمتع فيه الرجل على حساب المرأة. وقضية التحرش الجنسي لا تعني فقط النساء، بل هي قضية مجتمع؛ قضية حقوق الإنسان، واحترام كرامة الجسد، حيث أن الجسد له حرمة سواء أكان جسد امرأة أو كان جسد رجل. وعندما تختزل المرأة لتكون موضوعاً جنسياً فقط فهو في هذه الحالة تغييب لكيانها الآخر الإنساني والثقافي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي، ومحاولة حشرها في زاوية الموضوع الجنسي فقط، وهذا يعد إهانة لجنس المرأة على وجه العموم.

وعلى الرغم من تفشي ظاهرة التحرش الجنسي ضد المرأة في جميع الأماكن المختلفة، ألا أنه بات واضحاً أيضاً في الجامعات، وليست الفتاة – الطالبة – فقط التي تعاني من التحرش الجنسي، بينما يعاني الشاب – الطالب – أيضاً من التحرش الجنسي داخل أورقة الجامعات. وبرغم من عدم وجود تقارير حول ظاهرة التحرش الجنسي في الجامعات العربية، ألا أن هناك بعض التقارير تشير إلى هذا في بعض الجامعات الأمريكية. ويفيد التقرير ما يلي:

مازال من المرجح أن النساء يعانين من المضايقات الجسدية أكثر من الرجال، غير أن دراسة حديثة تشير إلى أنهن يعانين عموماً بنفس القدر الذي يعانيه الرجال من الاهتمام الجنسي غير المرغوب مثل الغمز والإشاعات الجنسية المغرضة. غير أن تقريراً جديداً يحطم هذه الصورة النمطية. فمن المرجح أن يعاني الطلاب الجامعيون من التحرش الجنسي بنفس القدر الذي تتعرض له الطالبات، وفقاً لاستطلاع قومي لأكثر من ٢٠٠٠ طالب جامعي

أجرى في شهر مايو ٢٠٠٧م. وقد صدر التقرير عن الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات وهي منظمة تدافع عن حقوق المرأة.

وقد بينت الدراسة أن حوالي ثلثي من شاركوا في الاستطلاع ٦١% رجال و٦٢% نساء أشاروا إلى تعرضهم لشكل من أشكال التحرش الجنسي، وهو ما تعرفه الدراسة بأنه سلوك جنسي غير مرحب به ويعتبر بمثابة تدخل في حياة الطالب. وقد تراوحت أعمار المشاركين في الاستطلاع بين ١٨ و٢٤. كما أنهم ينتسبون إلى كليات خدمة المجتمع وكليات جامعية وجامعات خاصة وعامة في أرجاء البلاد. وقد وجد المحللون أن معدلات من يتعرضون للتحرش الجنسي مرتفعة على نحو يثير الدهشة خاصة في ضوء الاهتمام العام بهذا الموضوع في أعقاب الاتهامات الموجهة إلى شخصيات بارزة في المجتمع الأمريكي.

ومع هذا كله، مازال التحرش الجنسي ينتشر في الجامعات مترافقاً مع النكات والتعليقات بوصفها جزءً من الحياة اليومية وجزءً من التحرش الجسدي – التلمس والمراقبة والتعقب أو النشاط الجنسي القسري. ويفيد التقرير أن هذه الأشكال جميعها باتت شائعة إلى حد كبير. ويمثل الرجال غالبية المتحرشين ٥١%. بيد أن ثلث النساء المشاركات في الاستطلاع ٣١% اعترفن بالتحرش جنسياً بالآخرين: إطلاق النكات والتعليقات المشينة أو التلميحات الجسدية. ويقول معظم المشاركين إنهم قاموا بالتحرش بالآخرين لأنهم اعتقدوا أن الأمر مسل، علماً بأن المستهدفين لم يشاركوهم في هذا الرأي، كما يفيد التقرير.

التحولات الثقافية تؤدي إلى الشك والحيرة:

إن اعتراف عدد غير قليل من الطالبات بقيامهن بالتحرش بطلاب آخرين يعكس تحولاً ثقافياً ترك النساء في حيرة من أمرهن إزاء دورهن في

المجتمع. وفيما دخلت النساء سوق العمل، فإنه تم تشجيعهن على أن يكن أكثر حزما وثقة، إنه نوع جديد من الضغط الاجتماعي الذي ينعكس في مقاربتهن الأكثر عدوانية نحو العلاقات الاجتماعية والسلوك الجنسي. وفي الوقت ذاته، مازال يتم تشجيع النساء على إظهار خصائص "أنثوية" تقليدية مما يؤدي إلى تشوش رؤيتهن حول أدوار الجنسين.

وتضيف مديرة الأبحاث في الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات: "إننا نتحدث عن حوالي ثلث الطالبات الجامعيات اللواتي يقلن إنهن تحرشن بشخص ما، وهذا مؤشر على الصراعات الأكبر حجماً بشأن كيفية التصرف وكيفية فرض وجودهن". أما الرجال، من جهة أخرى، فلم يتم النظر إليهم تقليدياً بوصفهم ضحايا للتحرش الجنسي لأنه يفترض أن كل الملاحظات والتلميحات الجنسية هي انعكاس لتوجهات ثقافية تساوي بين الذكورة والاهتمام المكثف بالنشاط الجنسي.

تقول مديرة الأبحاث في الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات: "لا يعتقد كل الرجال أنه أمر لطيف أن تأتي المرأة وتقرصهم أو تمسك بهم وتطرح عليهم ملاحظات جنسية أو أن تبعث إليهم بصورها عبر البريد الإلكتروني، يبدو وكأننا نريد أن نصدق أن كل الرجال يريدون ذلك، ومع هذا فإن الكثير من الرجال لا يريدونه". ويتحمل الرجال على وجه الخصوص أغلبية النكات والإهانات بشأن توجهاتهم الجنسية، كما تفيد الدراسة. ويقول ٣٧% من الطلاب المشاركين في الاستطلاع إنهم تعرضوا للإهانة إما لكونهم مثليين جنسياً أو لأنهم يبدوا وكأنهم كذلك، مقارنة بـ١٣% من الطالبات.

كما تلقى الرجال قدراً أكبر من الصور الجنسية غير المرغوب فيها، من النساء، كما أنهم كانوا موضوعاً للرسائل الجنسية التي يتم تبادلها عبر

رسائل البريد الإلكتروني أكثر من النساء، وكثيراً ما تم التجسس عليهم وهم يرتدون ملابسهم أو أثناء الاستحمام في الجامعة.

النساء أكثر تعرضاً للتحرش الجسدي:

من المرجح أن تعاني النساء من التحرش الجنسي الذي ينطوي على الاحتكاك الجسدي مثل اللمس والقرص أو من خلال الاحتكاك بهن جسدياً بطريقة جنسية، وقد أفادت ٣٥% من النساء المشاركات في الاستطلاع بتعرضهن للتحرش الجسدي مقابل ٢٩% من الرجال. كما أن النساء كن موضوعاً للتعليقات الجنسية والنكات أكثر من الرجال وتلقين تلميحات أو نظرات أو سدت عليهن المنافذ أو تم حشرهن في زاوية أو تم تعقبهن بطريقة تنم عن الرغبة الجنسية. وتساوى الرجال والنساء تقريباً من حيث تعرضهم للغمز أو كشف الأعضاء الجنسية أو من حيث نشر الإشاعات الجنسية حولهم أو من حيث شد ملابسهم بطريقة جنسية أو من حيث إجبارهم على التقبيل أو على ممارسة الجنس.

ورغم أن الرجال والنساء أفادوا بتعرضهم للتحرش بنسب متشابهة، إلا أن التقرير يشير إلى أن النساء يتحملن القسط الأكبر من عمليات التعرض للتحرش. وتقول أغلبية كبيرة من الطالبات اللواتي أفدن بتعرضهن للتحرش ٦٨% أن هذا السلوك أزعجهن، في حين عبر ٣٥% من الرجال فقط عن مشاعر مشابهة، ومن المرجح أكثر أن تعبر النساء عن ردود فعل عاطفية سلبية وأن يغيرن سلوكهن لتفادي التحرش، كما جاء في التقرير.

الرجال غير قادرين على التعبير عن مشاعرهم:

قد شكك المدير الإكلينيكي لمركز الرجال في هذا الاستنتاج الذي توصل إليه التقرير، وأشار إلى أن الرجال يفتقرون إلى "رأس المال العاطفي" بما يكفي للتعبير عن مشاعرهم إزاء تعرضهم للتحرش الجنسي أو إساءة

المعاملة. ويرى أن "النساء قادرات على قول (هذا ما أشعر به، وهذا موقف بغيض)، أما الرجال فهم غير قادرين على ذلك، ولذا فإننا نميل إلى التعويض بأشكال سلوكية" مختلفة مثل العدوانية والعزلة أو الانغماس في العمل. ويضيف: "إذا ما كنا نتحدث إلى طلاب جامعيين، فإنهم سيقولون: أنا ذاهب لألعب بجهاز أكس بوكس، أو ما شابه ذلك، ويهربون إلى هناك".

وقد وجد التقرير أن النساء يحتمل أن يبلغن شخصياً ما يتعرضن للتحرش أكثر من الرجال، لكن لا الرجال ولا النساء يبلغون أحداً من خارج دائرة الأصدقاء المقربين والعائلة بحادثة تعرضهم للتحرش الجنسي. وقد أفادت ٩% من النساء و٤% من الرجال أنهم أبلغوا مسؤولاً جامعياً عما تعرضوا له. وستطلق الجمعية الأمريكية للنساء الجامعيات حملة للحد من التحرش الجنسي في الجامعات.

التساؤل السادس عشر
هل قبول التحرش الجنسي في مجال الفن طريقا إلي النجومية؟

فجرت فنانات وممثلات في بلد عربي قنبلة مدوية حين كشفن عن تفاقم انتهاكات التحرش الجنسي ضدهن من قبل بعض المخرجين السينمائيين والممثلين والتقنيين، والتي تأتي على شكل ابتزاز يتمثل في المعادلة التالية: إذا رغبت في لعب دور هام في الفيلم أو المسلسل، يجب أن أتمتع بأنوثتك أولاً. وأكدت الفنانات استفحال هذه الظاهرة بالوسط الفني. وهذا يعد استرقاقاً جنسياً وحالة مرضية معممة على نحو خطير في الوسط الفني.

وقد تحدثت ممثلات عن حالات تحرش جنسي تعرضن لها، غير أنهن صددن المتحرشين من العاملين بالوسط الفني، ومنهن فنانة (س) التي قالت إنها تعرضت للتحرش الجنسي أكثر من مرة، ومورست عليها ضغوطات كثيرة، لكنها قاومت تلك النزوات. فقد حاول أحد المخرجين التحرش بها جنسياً في غرفته الخاصة، وهددها أمام الممثلين، ثم بصق على وجهها لما رفضت الخضوع لرغباته الجنسية المريضة. واعترفت ممثلة أخرى بأن: الممثلات اللائي ترفضن الخضوع لتلك النزوات، يواجهن العرض البطيء في الساحة الفنية، بينما تمر الأخريات في لمح البصر في اتجاه النجومية والشهرة، ليس لأنهن مبدعات لكنهن قبلن التحرش الجنسي وخضعن له.

أن التحرش الجنسي بالفنانات ظاهرة اكتسحت الجسم الفني بشكل ملفت للنظر، ولازالت في تنام متواصل، خاصة أن الخطوط الحمراء المحيطة بها شجعت ممارسيها من صيادي الفرص على تكثيف أنشطتهم، مما يدعو في المقابل إلى التصدي لها بما تستحقه من جرأة، وبما يحد من تناميها بين ظهراني الأسرة الفنية.

ولابد من الاعتراف بأن هناك موانع متعددة تحول دون الوقوف أمام انتشار الظاهرة، وتبقى ندرة فرص الشغل بالقطاع الفني بمثابة حجر الزاوية في تفاقم هذا الداء واتساع مساحتهَ داخل الوسط الفني، الأمر الذي يجبر الفنانة على القبول بأي شيء، في سبيل تسجيل حضورها من خلال الأعمال الفنية المعروضة أمامها، وهو الواقع الذي يستغله هواة اللعب في المياه العكرة ومتحينو الفرص، في استمالة الفنانات للقبول بتحرشاتهم الجنسية، مما يعني أن الأسباب الرئيسية في انتشار هذا المرض تحركها دوافع مادية بالدرجة الأولى.

ومن ثم، فإن الفنانات اللائي فجرن المسكوت عنه في ما يحدث أحياناً في كواليس المشهد الفني لم يضعن فقط الأصبع على الجرح الغائر بصدد تحرش "الأوصياء" على العمل الفني، بالفنانات، بل أيضاً على ما هو أعمق بكثير، ويتمثل في تعميم الإهانة ونقلها جيلاً بعد جيل، وإلا كيف نفهم مثلاً أن إلحاح مخرج تلفزيوني يتجاوز الستين من العمر، على التحرش الجنسي بفنانة في الثامنة عشرة من عمرها؟.

ومن الدوافع التي تجعل الفنانات المتحرش بهن لا يقدمن على فضح ما يتعرضن له وتقديم شكاياتهن إلى الجهات المختصة، كون الأوضاع الفنية المتردية تساعد على انتشار مثل هذه الأوبئة، وتساهم في اتساع رقعتها داخل الجغرافية الفنية، وتفسح المجال في المقابل أمام الكائنات الدخيلة على القطاع الفني للإساءة للفنانات والفنانين لدرجة مكنتهم من التطاول على كرامة الفنانات بالتحرش الجنسي، دون أن يسبب لهم هذا الفعل أي حرج، إضافة إلى أن القوانين المعمولة بها لا تحث المتحرش بهن على التوجه لأقسام الشرطة للتبليغ عما يتعرضن له من تحرشات.

أن عدم لجوء الفنانات اللائي يتعرضن للتحرش الجنسي إلى النقابات الفنية يرجع بالأساس إلى أنه بحكم نظام التعددية المعمول به في هذا البلد العربي، خلافاً للعديد من البلدان العربية التي تعطي حق الاحتكار للنقابة الواحدة، فإن الأمر يبدو صعباً للغاية، حيث لا يعطي الدستور صلاحيات واسعة للتيارات النقابية بالتدخل للفصل في النزاعات المرتبطة بمشاكل الفنانين، كما أنها لا تملك أي سلطة تذكر لتطويق المتحرشين من أهل الفن بالفنانات، وهذا الأمر بات مشاعاً ومعروفاً بما يكفي داخل العائلة الفنية. وبناء عليه، تكتفي الفنانات المتحرش بهن في الكواليس، بالدفاع عن أنفسهن حسب تفاوت قدرتهن على المواجهة والتصدي في حال وقوعهن في مأزق التحرش الجنسي.

التساؤل السابع عشر
ما دور الدين في التصدي لظاهرة التحرش الجنسي؟

أن الروادع الدينية هي الروادع الحقيقية التي تتعلق بسلوكيات الإنسان وأخلاقه في التعامل مع الآخر، فالدين يعلم الإنسان منذ نعومة أظافره أن للآخر حرمة لا يستطيع أن يتعداه، حرمة في المال، حرمة في الحياة، حرمة في العرض، وتبدأ هذه التربية منذ الطفولة الأولى ونحن نتذكر هذا عندما يوجهنا القرآن الكريم إلى أن الطفل قبل أن يبلغ الحلم عليه أن يستأذن فلا يدخل على والديه في أوقات ثلاث: هي قبل الفجر، ووقت الظهيرة، وبعد العشاء، عندما يضع الإنسان ثيابه، منذ نعومة أظافره، يعرف أن للآخر حرمة عليه ألا يتعداها، والآخر ابتداءً من أبويه وانتهاءً بكل فرد في العالم الذي يعيش فيه، وهذا القيد الذي يفرض على الفرد ليس قيداً يقيد حركته، ولكن هو لصالحه، لأن إذا قيد الفرد نحو الآخرين فهذا القيد مفروض على كل المجتمع لصالحه، فيعيش الإنسان في حياة مستقرة آمنة بهذا الوضع.

ثم أن الدستور الأخلاقي الذي يوجه الإنسان في حركته تجاه مجتمعه مع الآخرين هو أكبر ضمان أن هذا المجتمع يسير في نطاق الفضيلة، وعلينا أن نتذكر أن المجتمع الإسلامي يريد مجتمع لا ينطق إلا بالفضيلة، ويحارب الفحش بجميع صوره ولا يقبله، وتوضع له العقوبات للمحافظة على حقوق الفرد فيما يمس كرامته أو شرفه أو عرضه، هذا الأمر إذا تولى المجتمع تنشئة الأبناء منذ البداية من خلال أجهزته المختلفة ابتداءً بالأسرة وبالجهاز التعليمي، وبالجهاز الإعلامي، وبالجهاز الديني، وبالأندية، وبالأجهزة الثقافية، استطاع المجتمع أن يخلق الفرد المتوازن المتماسك أخلاقياً الذي يستطيع أن ينتج ويتقدم بخطوات واسعة وواثقة نحو الرقي والعلو ويحافظ على كرامة كل فرد ولا يسمح بالتعدي على أي إنسان مهما كان حجم هذا التعدي، فالمجتمع

الذي تشيع فيه الفاحشة لا يكون مآله إلا الدمار والانهيار، وهذا ما يرفضه الدين والإسلام بصفة خاصة، والأديان عموماً، لأن جميع الأديان تحض على الفضيلة وتدعو إليها وليس هناك ديناً يوافق على اختراق أو انتهاك حرمات الآخرين.

التساؤل الثامن عشر
هل هناك أمثلة للتحرش الجنسي؟

قام المؤلف بدراسة استطلاعية على عينة قوامها أربعمائة طالبة من طالبات الجامعة؛ بهدف التعرف على مواقف التحرش الجنسي التي تعرضن لها. وقد تبين من خلال مراجعة استجابات الفتيات أن ٩٨% منهن تعرضن لأشكال متنوعة من التحرش الجنسي؛ منها ما هو لفظي، ومنها ما هو لمس باليد لبعض الأعضاء التناسلية، ومنها ما هو احتكاك مباشر بالجسد، بالإضافة إلى أن هناك بعض الرسائل الجنسية ترسل إليهن عبر الهواتف المحمولة. وفيما يلي بعض الأمثلة لما تعرض له الفتيات من تحرش جنسي:

الحالة (١): فتاة عمرها ٢٢ سنة قالت: شاب راكب عربية وقف .. وأخبرني بأن طيارته على وشك الإقلاع .. ويريد أن يعمل خير قبل أن يسافر .. وأخبرني بأنه متدين .. وحافظ القرآن .. ويريد أن يضع بعض النقود في أحد المساجد، فطلب مني أن أركب معه السيارة .. لكي أرشده إلى مسجد من هذه المساجد.

الحالة (٢): فتاة عمرها ٢١ سنة قالت: في يوم ذهبت إلى أحد المتاجر لشراء بعض الأشياء .. فجاء صاحب المتجر وعرض عليّ أن نذهب سوياً لمكان ما لكي نعمل "قلة أدب".

الحالة (٣): فتاة عمرها ١٩ سنة قالت: قام شاب بفتح زرار البنطلون الذي يرتديه، وأخرج عضوه الذكري.

الحالة (٤): فتاة عمرها ٢١ سنة قالت: كنت أقف في بلكونة المدينة الجامعية ليلاً؛ فرأينا شخصاً لا يرتدي بنطلوناً ويشير إلى أعضائه التناسلية.

الحالة (٥): فتاة عمرها ٢٢ قالت: ركبت الأتوبيس ذات يوم، فإذا برجل

عمره حوالي ٤٠ سنة، يضع يده بطريقة غير لائقة على جسمي، وحاولت الابتعاد عنه، ولكنه كان مصراً على وضع يده .. وقد تكرر هذا الموقف مرة أخرى.

الحالة (٦): فتاة عمرها ٢٣ سنة قالت: ذات يوم ركبت القطار وكان مزدحماً جداً، فتعقبني رجلاً في الخمسين من عمره، والتصق بجسده بي، فطلبت منه الابتعاد، وأعتذر بأن القطار مزدحم، ثم اقترب من جسدي أكثر محاولاً لمسي بجزئه الأسفل من جسمه.

الحالة (٧): فتاة عمرها ٢٢ سنة قالت: كنت في يوم ماشية في الشارع .. فإذا بسائق تاكسي يقف فجأة .. وقال: الهانش بتاعك حلو قوي.

الحالة (٨): فتاة عمرها ٢١ سنة قالت: الترام كان مزدحماً جداً .. ووقف بجانبي رجلاً في الستين من عمره، وحاول أن يمسك يدي ويضعها على عضوه الذكري.

الحالة (٩): فتاة عمرها ٢٠ سنة قالت: أثناء سفري بالقطار .. جاء شاب ووقف خلفي .. وضغط بقبله في دبري .. وبيده في قبلي.

الحالة (١٠): فتاة عمرها ٢١ سنة قالت: كنت ماشية في الشارع .. فسار بجانبي شاباً عمره حوالي أربعين سنة .. وشكله شيك .. واقترب مني .. وقال: تعالي معي الشقة بتاعتي لمدة ساعة .. وأنا مستعد أديلك المبلغ .. اللي أنت عايزاه.

الحالة (١١): فتاة عمرها ٢١ سنة قالت: كنت في القطار .. فلمسني شخصاً في منطقة حساسة مرة ومرتين .. فقمت بشكه بدبوس.

الحالة (١٢): فتاة عمرها ٢٠ سنة قالت: كنت ماشية في يوم في أحد الشوارع المزدحمة بالناس، فإذا بشاب يبلغ من العمر ٢٠-٢٣ سنة، ورفع جونلتي من الخلف.

الحالة (١٣): فتاة عمرها ٢٣ سنة قالت: ذات يوم تلقيت رسالة عبر النت من رجل كويتي عرض عليّ مقابلته في القاهرة عندما يأتي إليها مقابل مبلغ قدره ألف دينار في كل مرة.

الحالة (١٤): فتاة عمرها ٢١ سنة قالت: كنت أعمل في الإجازة الصيفية في عيادة دكتور عمره حوالي ستين عاماً .. وفي بداية العمل كان يعاملني معاملة عادية .. ثم بدأ بعد ذلك يتلفظ بكلام يدل على المعاكسة .. وبمرور الوقت زاد الأمر .. وكان دائماً يتعمد أن يلمسني بأي شكل .. فتركت العمل رغم احتياجي الشديد للمال .. فحاول أن يكلمني حتى أعود للعمل مرة أخرى .. فرفضت .. فأتهمني بسرقة أحد الكتب الهامة .. فذهبت إليه .. فأخبرني بأنه فعل هذا .. لكي أرجع إلى العمل مرة أخرى .. وسوف يرفع مرتبي إلى الضعف .. والحمد لله .. وجدت عملاً في مكان آخر.

وإلى جانب هذا، هناك حالات لا حصر لها من التحرش الجنسي تتعرض لها الفتيات في المواصلات العامة، والشوارع. كما تبين من خلال الدراسة الاستطلاعية أنه لا يوجد عمر معين للمتحرش، فهناك المراهقين، والشباب، والرجال في أواسط العمر، وكبار السن.